



الكتابة للصحافة الاستقصائية ومداخلها النظرية المفسرة

"مقاربة منهجية"

Writing for Investigative Journalism and Its Explanatory Approaches (/ investigative
journalistic Writing and its explanatory approaches)

حفيظ حفاظ¹: أستاذ الإعلام الرقمي في مجال الصحافة والإعلام.

hafid haffad: Professor of Digital Media / Sidi Mohamed Ben Abdellah University / Faculty
of Arts and Humanities, Fez-Sais.

Digital Object Identifier (DOI): <https://doi.org/10.5281/zenodo.17392651>

ملخص الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من إشكالية محورية تتعلق بأهم المبادئ والمعايير التي يجب أن يستند إليها الصحفي عند كتابته للتقارير الصحفية الاستقصائية، وذلك باعتبارها سلوكا منهجيا ومؤسسيا صرفا يعتمد على البحث والتدقيق، والاستقصاء، حرصا على الموضوعية والدقة، والتأكد من صحة الخبر، وما قد يخفيه انطلاقا من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، خاصة وأن التحقيق الجيد والمحكم من شأنه أن يتجاوز إيصال المعرفة وتشكيل الرأي العام، إلى الوقوف عند عدد من القضايا المجتمعية، وتشريحها وبيان طرق علاجها، خدمة للصالح العام.

يعتمد التحقيق الصحفي في أسلوبه، ومحتواه على أسس علمية ومعايير ومبادئ متعارف عليها في الحقل الإعلامي، ليسهم في نجاح الرسالة الإعلامية بالشكل المطلوب، وذلك اعتمادا على الحقائق والتوصيات المبينة على دراسات ميدانية محضرة؛ تنطلق من صياغة جيدة، ودقة متناهية، وأسلوب إعلامي صحيح يتسم بالتفصيل المريح والبناء الاقتراحي الواقعي.

تستعين هذه الدراسة بالمنهج الوصفي الاستقرائي؛ لكونه أسلوبا للبحث والتحليل يركز على استقراء النظريات وقوانينها ومركزاتها العامة، كما تبحث أيضا عن أهم المداخل النظرية المفسرة للصحافة

¹ أستاذ الإعلام الرقمي/ جامعة سيدي محمد بن عبد الله / كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس- سائس.

الاستقصائية، وكيفية الاستفادة منها، وأجرائها على أرض الواقع من قبيل: (مدخل الرقابة - نظرية وضع الأجندة - نظرية بناء الأجندة - نظرية المسؤولية الاجتماعية - نظرية الملكية). كما تستند الدراسة إلى فهم الأبعاد المعرفية والوظيفية التي تتمتع بها الصحافة الاستقصائية ودورها الرقابي. ناهيك عن إبراز أوجه الاختلاف بين الصحافة الاستقصائية والأشكال الصحفية الأخرى.

خلصت الدراسة إلى أن الكتابة الصحفية الاستقصائية هي الكتابة التي تتفاوت أهميتها حسب الكاتب ومادة التحقيق، وأن أفضل التحقيقات الصحفية هو ما كان متصلاً بهموم وقضايا الناس ومشاكلهم وبالتحديد القضايا الإنسانية المهمشة والمنسية، كما أن الوقوف على الحقائق والوصول إلى تحقيقها تعد من بين الأسباب التي تعترض عملية كتابة التحقيقات الاستقصائية والتي تتطلب بذل جهود كبيرة من الصحفيين في إعدادها وجمع مصادرها وتتبع خيوط موضوعاتها وقضاياها لفترات زمنية طويلة، كما أنها تتطلب قدراً إضافياً من الحيلة والحذر حتى لا يسقط الصحفي بالمحاذير القانونية أو الاجتماعية أو السياسية إلا بالقدر الذي يخدم الصالح العام، من قبيل كشف الحقائق وإظهارها للرأي العام.

الكلمات المفتاحية: الصحافة الاستقصائية- التحقيق الصحفي- الكتابة الصحفية- الأسس- الأساليب- الرقابة- الأجندة- المسؤولية الاجتماعية- الملكية.

Abstract:

This study comes as response to the problematic issue of principles and criteria in applied investigative journalism. In other words, it promises to expose the indispensable nature of such elements in a journalist work for method (ologi) cal rigor, institutional viability, (objectivity/) impartiality and (professional) journalistic accuracy.

It also aims at exploring ways in which an investigative journalist verifies news items On grounds of transparency and anticorruption (principles). It is because a rigorous and well-structured journalistic investigation could not only communicate knowledge and shape public opinion, but also address, dissect and tackle social issues for the common good.

Journalistic investigation has always derived/ followed from established conventional criteria and principles within the field of media, where it can optimally contribute to the success of the journalistic cause/function/duty. It is on the basis of factually scaffolded recommendations that follow from succinct research design, exacting field studies and sound Journalistic style-marked by elaboration and REALISTIC SUGGESTIVE STRUCTURE-that such journalistic endeavor proceeds.

The methodology is descriptive-inductive. As a research choice, it enables deduction-driven analysis of general theoretical premises and interrogate the most prominent explanatory theoretical approaches to investigative journalism for better and more practical use (censorship approach, -agenda setting theory- agenda construction theory- social responsibility theory- ownership theory). The study also aims at understanding the cognitive and functional dimensions of investigative journalism as a watchdog as well

as a comparative case within the entirety of journalism.

The study concludes that investigative journalistic writing varies in importance on the basis of the journalist (practitioner) and the subject matter of the investigation. Another point to be concluded is that the most far-reaching type of journalistic investigations are those that are most popularly relatable; that is those about people's causes, problems, concerns-especially those forgotten overlooked issues. Through the study, it can be ascertained that being able to effectuate investigative journalism by way of finding and tracing information is a huge challenge that gets in the way of this journalistic subgenre. An investigative journalist would always have to be extra cautious not fall into legal, social and political pitfalls, and still serve the common good/interest by exposing truths to the public (opinion).

KEY WORDS

Investigative journalism-journalistic investigation journalistic writing-(الأسبي: premises) Styles Agenda/مذكرة social responsibility (/accountability)- Ownership.

مقدمة:

مما لا مرأ فيه أن التحقيقات الصحفية باتت تشكل أهم ركن من أركان الممارسة الإعلامية ، سيما وأن التحقيق الجيد والمحكم يستطيع أن يلعب دورا مهما ليس فقط في إيصال المعلومات والمعرفة إلى الرأي العام، وإنما يستطيع أن يقف عند عدد من القضايا المجتمعية والعمل على معرفة أسبابها وبيان طرق علاجها، وهو الأمر الذي يخدم الصالح العام . بالتالي فالكتابة للصحافة الاستقصائية التي هي مدار دراستنا ليست عملية مستقلة عن الممارسة الصحفية العادية، بل هي عملية مكملية غير أنها تتطلب خبرة أكثر ووقتا أطول ومعرفة رصينة وجادة بالجوانب المستترة عنها، لذا فليس كل صحفي أو إعلامي قادر على الخوض في مثل هذه المهمة الاحترافية التي تتطلب شخصية تتمتع بحس إعلامي عال وطاقه صبر تتحرك بدافع ذاتي ومهني، كما أن نجاح الرسالة الإعلامية في التحقيقات الصحفية رهينة بمدى اعتمادها على الأسس العلمية والمعايير والمبادئ الكتابية متعارف عليها في الحقل الإعلامي وعلى وما توفره من حقائق واستنتاجات وتوصيات مبنية على دراسات ميدانية محضه تنطلق من صياغة جيدة ودقة متناهية وأسلوب إعلامي صحيح يتسم بالتفصيل المريح والبناء الاقتراحي الواقعي.

إن الصحافة الاستقصائية باتت تشكل اليوم مظهرا بارزا من مظاهر الممارسة الصحفية الاحترافية العالمية، وذلك لما لها من مقدرة على دراسة التجارب في شتى نواحي الحياة بحيث تستطيع أن تدرس التجربة الإيجابية بموضوعية وحيادية ليس لتمدح وتطري بل لتكتشف الأسباب التي جعلت هذا الايجابي ممكناً، كما تستطيع أن تدرس التجارب السلبية ليس بقصد التشهير أو الهدم بل بقصد تحديد الأسباب التي أدت إلى بروز واستفحال السلبي، والبحث عن الطرق الكفيلة بالتغلب عليه. ونظرا أيضا لما تقوم به الصحافة الاستقصائية من رصد للوقائع، والأحداث والتطورات في مختلف

مجالات الحياة ومعالجتها وتقديمها كعملية متشعبة متعددة الأسباب وذات أبعاد تاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية، أي تقديم رؤية عملية متكاملة لقضية ما بأسلوب ولغة ولهجة علمية قريبة من فهم وتناول جمهور القراء، ولهذه الأسباب جميعاً أصبحت الممارسة الصحفية الاستقصائية قوة فكرية فعالة تحولت بالممارسة إلى قوة يحسب لها ألف حساب في كل الدول عن طريق قيامها بشرح وتفسير وتحليل المشاكل والظواهر التي تتخبط فيها المجتمعات. فالتحقيقات الصحفية الجيدة يمكن أن تستوعب حياة المجتمع بمجالاتها المتنوعة، ويمكن أن يكون موضوعها إحدى طبقات أو فئات هذا المجتمع، وقد يكون موضوعها التحقيق في شخصية من الشخصيات السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية العامة، أو بحثاً علمياً، أو اكتشافاً طبياً، أو اختراعاً جديداً، وغيرها كثير من الموضوعات التي تدخل في إطار الممارسة الحياتية على اختلاف أشكالها وأنواعها. ولعل ما يجب التأكيد عليه في هذا السياق هو أن كتابة التحقيقات الصحفية ليست مجرد عرض للأفكار والوقائع المعروفة لدى الرأي العام، كما أنها ليست مجرد استعراض لأفكار الكاتب الصحفي، وإنما هي عملية تبحث في المشكلات الاجتماعية التي تزداد كل يوم في التعقيد والتأزم، ونظراً للدور الوظيفي البالغ الأهمية الذي تقوم به الصحافة الاستقصائية هو ما جعلها تحتل مكانة بارزة بين مختلف الأنواع الصحفية، وهذا الاختلاف يظهر بشكل جلي في اعتماد التحقيقات الصحفية على التخطيط لكل خطوة انطلاقاً من مبدأ التعامل مع حجم ونوع المعلومات التي يجمعها الصحفي المتقصي والذي قد يكون صعباً ما لم يكن ذلك قائماً على خطة توضح التسلسل الزمني المنطقي للمعلومات التي يعالجها التحقيق الاستقصائي، لهذا فإن مراحل إعداد التحقيق الاستقصائي شبيهة بطريقة إعداد البحث العلمي، وفق هذا الكلام يقول الباحث محمود علم الدين " أنه لا يمكن لأحد أن يخمن أو يفترض أو يدعو إلى أن يستعمل الصحفيين المنهج العلمي في جمع المادة الصحفية وتصنيفها وتحليلها ومن ثم صياغتها، ولكن يمكن الاستفادة من أهم سمات المنهج العلمي في جمع المادة، أو البيانات الصحفية، وتصنيفها وتحليلها والوصول إلى خلاصات من أهمها: التكميم والقياس، الثبات والصدق في القياس، النظرية، فرض الفروض واختيارها، ثم الاستنتاج السببي".²، لكن على العموم تبقى السمة المميزة والبارزة للصحافة الاستقصائية هي كونها صحافة موثقة تعتمد في عملها على توثيق المعلومات والآراء، وعلى توثيق القضايا التي يتم معالجتها والكشف عنها بتفاصيلها وعناصرها وجوانبها المختلفة. وعليه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى ماهيتها وجذورها وأسباب ظهورها، كما سنحاول معرفة الأسس والأساليب الكتابية للصحافة الاستقصائية، مروراً بأهم المداخل النظرية المفسرة لها. ومن هنا جاء موضوع هذه الدراسة الذي سنحاول من خلاله التعرف على أعلى مراتب مهنة الصحافة: إنها الصحافة الاستقصائية وذلك من خلال طرح تساؤل بحثي يعد جوهرًا لإشكالية هذه الدراسة كما يلي: هل الكتابة للصحافة الاستقصائية هي نفسها الكتابة لمجموع الأجناس الصحفية الأخرى؟ أم لديها مبادئ وأساليب كتابية تميزها و تتفرد بها؟ وما هي أبرز النظريات المفسرة للممارسة الصحفية الاستقصائية.

² محمود علم الدين، الصحافة في عصر المعلومات: الأساسيات والمستحدثات، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص: 75.

المحور الأول: الصحافة الاستقصائية.. المنهجية وموجبات الظهور.

1 - مدخل مفاهيمي للصحافة الاستقصائية

بداية نشير إلى أن الصحافة الاستقصائية في شكلها العام بمثابة حرفة علمية تقوم على جمع الأخبار و تحليلها و تحقيق مصداقيتها و تقديمها للجمهور، ومن هنا صارت بمثابة " سلوك منهجي ومؤسساتي صرف، يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصا على الموضوعية والدقة، والتأكد من صحة الخبر، وما قد يخفيه انطلاقا من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاما بدور الصحافة المتمثل في حراسة السلوك الحكومي، وكوسيلة لمساءلة المسؤولين ومحاسبتهم على أعمالهم خدمة للمصلحة العامة، ووفقا لمبادئ وقوانين حق الاطلاع وحرية المعلومات.³ وهكذا فالصحافة الاستقصائية من خلال هذا التعريف تعني إمطة اللثام عن الحقائق المخفية إما بشكل متعمد من قبل شخص ما أو سلطة ما أو مؤسسة ما، أو أنها أخفيت عن طريق الخطأ، والتعرض لجميع الحقائق ذات الصلة بالجمهور، فهي تسهم بشكل حاسم في حرية التعبير وحرية نشر المعلومات، وهو أمر لا غنى عنه لوسائل الإعلام إذا كانت تريد حقا أن تقوم بدور الرقيب للديمقراطية في البلاد، هذه الأخيرة التي تعتبر من الوظائف الرئيسة التي يجب أن تقوم بها الصحافة الحرة نيابة عن المواطنين وحراسة المجتمع من إساءة استخدام السلطة، انطلاقاً من أن الحكومات حتى وإن وصلت إلى الحكم عبر الانتخابات الديموقراطية فإنها قد تميل في فترات معينة إلى الانفراد بصنع قرارات تخدمها وصولاً إلى تحقيق مكاسب وراء هذه القرارات، متناسية خدمة الصالح العام، وبالتالي هنا تظهر أهمية الصحافة الاستقصائية في تناول مثل هذه التجاوزات التي تحدث على مستوى الممارسة السياسية واستخدام السلطة في غير محلها.

إن الاستقصاء يعد من أبرز المصطلحات ارتباطاً بمجال الممارسة الصحفية وميزته كمصطلح " أنه يشمل كل الأساليب والأدوات البحثية التي من شأنها أن توصل للحقيقة، فالصحفي الاستقصائي، قد يبحث في الكتب والصحف وذاكرة الناس وألسنتهم وقد يستخدم أداة للملاحظة العلنية أو السرية أو أداة للمقابلة والاستبيان والبحث والتحري الأمني بما في ذلك التصوير المخفي، فكل الوسائل المشروعة المتاحة يمكن استخدامها لأجل الوصول إلى المعلومات وتأكيد الحقائق، مع الإقرار بجدلية مفهوم المشروعية وما يرتبط بذلك من محددات قانونية وأخرى أخلاقية وأخرى حقوقية كحقوق الخصوصية أو الملكية الفكرية.⁴ " ، الجدير بالذكر هنا أن مصطلح التحقيق الصحفي قد يأخذ الكثير من المعاني منها " أنه عبارة عن أخبار بمفهومها العام، لكنه لا يلتزم بقاعدة الهرم المقلوب ولا بالأسئلة المرجعية الستة، مع أنه يجيب بإسهاب عن بعضها، والشيء الأساسي في التحقيق هو الحقائق التي يحتويها الموضوع ومقتضياته العامة، كما

³ عيسى عبد الباقي، الصحافة الاستقصائية، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص: 59 .

⁴ عزام أبو الحمام، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، 2014، ط1، ص: 18 .

أنه تقرير عن خبر معين، وذلك لأنه يحاول وصف الحدث بطريقة يظن المتلقي معها أن صاحب التحقيق قد عاش تلك الأحداث، كما ينعت بأنه استطلاع للوقائع والأحداث والأشخاص الذين لهم صلة بهذه الوقائع، والعوامل المؤثرة فيها، والحكم عليها، وإبراز مختلف التداعيات المترتبة عن مشكلة أو واقعة يتناولها التحقيق".⁵ وفي ضوء ذلك يمكن القول أن الصحافة الاستقصائية أخذت تسميات عديدة من قبيل: الاستقصاء، والتحري، والبحث، والتحقيق، وعلى الرغم من كل هذه تسميات إلا أنها تدل على منهجية مدروسة أو مخططة وفق قواعد وأصول تم الاتفاق عليها بغية النبش في القضايا المنسية والمهمشة وصولاً إلى الحقائق في صورتها المباشرة، أيضاً لا بد أن نشير هنا إلى أن عملية التقصي و التحقق هي عملية تشارك فيها جميع الأجناس الصحفية على اختلاف أنواعها، فكل الصحفيين معنيون بمهمة البحث والتحري و طرح الأسئلة عوضاً عن الجمهور، وهم بذلك يمارسون عملية استقصاء تتوافق مع جوهر عمل الصحافة الاستقصائية.

لكن على العموم توصف الصحافة الاستقصائية بأنها " فن قائم على الاستطلاع، والبحث والتحليل الواقعي الذي تدعمه الحقائق الواضحة والحجج الدامغة، ويتناول الموضوعات التي تحتاج إلى مجهودات البحث، والشرح، والتحليل العميق... كما يعتبر فنا من فنون التفسير والتحري حول الأسباب والخبايا الكامنة وراء حدث يدور حوله التحقيق، وينبغي أن يهتم هذا الحدث أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع كي يلقى الاهتمام والتفاعل اللازمين... وأحسن التحقيقات هي التي تلامس المعيش اليومي للمواطن، وتكتسي طابعا إنسانيا واجتماعيا، ومن حيث أنه استقصاء وتحليل، عرف التحقيق بأنه تغطية تحريرية مصورة من خلال البحث في مشكلة ما، أو دراسة ظاهرة من الظواهر".⁶ بهذا التعريف يمكن القول على أن الصحافة الاستقصائية أصبحت اليوم جنسا صحفيا قائم الذات له مناهجه وأدواته العملية الخاصة به، ونمطا مميزا من الصحافة لكشف الفساد والانحرافات ومواجهتها، وبالتالي تبقى الصحافة الاستقصائية، بمثابة نافذة الجمهور يرى من خلالها الحقائق الحصرية والملفات الحساسة الغائبة والمغيبة عن الرأي العام.

تأسيسا على ما تقدم من تعاريف نشير إلى أن لمهنة الصحافة الاستقصائية خصوصية تميزها عن باقي المهن الأخرى، بل وحتى عن بقية أشكال الممارسات الصحفية المتنوعة، فهي تخاطب العقول على اختلاف مستوياتها وتؤدي عدة مهام تخص الفرد والمجتمع، وهذه الخصوصية بصفة عامة نابعة من خصائص الصحافة الاستقصائية، بدءاً من البحث العميق والشامل وصولاً إلى الاعتماد على الأدلة الموثوقة والتوثيق الدقيق. وبالتالي هذه الخصائص وأخرى منها هي ما تدفع بالصحفي الاستقصائي إلى توظيف قدراته التحليلية والنقدية والعمل بشكل مستقل بعيداً عن التأثيرات

⁵ محمد الزوهرى، الممارسة الإعلامية، الواجب المهني والأداء الفني، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، ط 1، 2019، ص: 87.

⁶ المرجع نفسه، ص: 87.

الخارجية، مع ضمان الشفافية والمصداقية في تقديم المعلومات، والمساهمة في تحسين المجتمع من خلال تسليط الضوء على القضايا التي قد تضر بالجمهور أو تخالف القيم الإنسانية.

2 - نشأة وتطور الصحافة الاستقصائية

إن نشأة وتطور الصحافة الاستقصائية لم يأتي بمحض الصدفة، وإنما كان نتاج تضخم الممارسة الصحفية بأشكالها المتعددة هذا من جهة ومن أخرى اتساع التأثيرات الطبقية المتقدمة داخل الولايات المتحدة الأمريكية بالتحديد وهو الأمر الذي أفرز لنا تسمية صحافة الإثارة أو صحافة الكشف عن الأدوات السياسية أو الإعلامية التي تكون ذات علاقة وثيقة بال جماهير الإعلامية المستهدفة، ومن هنا بدأت تظهر " الصحافة الاستقصائية في المجتمع واتجاهها في الإبراز والتركيز والتحرري عن قضايا معينة تحدث في المجتمعات، وبخاصة جوانب الانحراف والفساد ونتيجة لذلك سمي محررو هذا اللون بالمنقبين عن الفساد، وقد أطل هذا الاسم على مجموعة من الصحفيين الذين قادوا حملات صحفية مهمة ضد الفساد، واعتمد هؤلاء الملقبون بالمنقبين عن الفساد في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية وخاضعة لمراقبة الخبراء، وبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة عام 1906 واستمرت في التطور وزيادة دورها وتأثيرها حتى تأسس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1976 كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، وذلك على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها".⁷

الجدير بالذكر هنا أن مطلع السبعينيات من القرن العشرين كان بمثابة الانطلاقة الفعلية للممارسة الصحفية الاستقصائية خاصة الصحف الأمريكية التي دفعت بأطقمها الصحفية نحو " التحرر من القصص الروتينية حتى يستطيعوا معالجة القضايا والموضوعات ذات المغزى التي تتطلب وقتاً أكثر وخبرة وأشهر المحررين الذين قاموا بالتغطية الاستقصائية، كل من بوب ودورد، وكاري برينشتن Cari Bernstein، Bbwood Ward بجريدة الواشنطن بوست Washington Post وقد انتشرت الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال فترة السبعينات من القرن العشرين لأسباب متعددة منها: الدعم المالي الذي حصلت عليه الصحافة في أوائل السبعينات، إذا كان التخطيط لذلك قد بدأ منذ عام 1968 بشكل غير منتظم، وأصبح هناك منظمة أو صندوق مستقل هو Fund Of Investigative Journalism يموله المؤسسات والأفراد، وقد نجح الصندوق في تمويل أكثر من 60 مشروع تغطية استقصائية خلال الفترة من سبتمبر عام 1971 وحتى سبتمبر 1973، كشفت عن أوجه نشاط قابلة للمناقشة تتصل بالأوضاع المربية في

⁷ Marchetti Dominique, (2000), Les révélations du "journalisme d'investigation". In: Actes de la recherche en sciences sociales, Vol. 131-132, mars, Le journalisme et l'économie, pp 30-40.

النشاط الاقتصادي والحياة السياسية، وعن فساد الحكومة.⁸ ، ولعل أكثر النماذج شهرة إبان تلك الفترة، " سلسلة التقارير التي أعدها 1904 Lincoln Stiffens، بعنوان (عار المدن) Shame Of The cities والتي تصدت بالتوثيق لكشف الفساد في الحكومات المحلية بالولايات المتحدة الأمريكية، وكذا التقارير الاستقصائية التي كتبها Rachal Carsons بعنوان الربيع الصامت Silent spring والتي كشفت فيها عن الآثار المدمرة لاستخدام المبيدات الحشرية السامة.⁹ ، أما ظهور الصحافة الاستقصائية حديثاً يمكن الإشارة إلى عدد من الأمثلة التي أصبحت تضرب عند الإشارة إلى الاستقصاء مثل قيام الصحفي الأمريكي سيمور هيرش Seymour Hersh بفضح تفاصيل الجرائم التي ارتكبتها الجيش الأمريكي في قرية (ماي لي) My Lai في فيتنام عام 1969 ، مما أدى إلى تغذية مشاعر الغضب لدى الأمريكيين بسبب استمرار الحرب في فيتنام، والذي لا يزال يعد نموذجاً لما يجب أن تكون عليه الصحافة الاستقصائية، وقد كانت أعمال هيرش بمثابة إعادة بعث للصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة مرة أخرى.¹⁰

في السياق نفسه يتبين أن بداية الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة الأمريكية كان نتيجة وجود حد مقبول من القوانين التي توفر الحماية للصحافة وتطلق لها الحرية من جهة، ومن جهة أخرى فقد وجدت مثيرات (خوافز) في البيئة تتمثل في نشاط الشركات الخاصة وجماعات المصالح إضافة إلى بعض الانحرافات التي كانت تقع فيها بعض الأجهزة الحكومية، فالصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بحماية القانون وبقدرة على الوصول إلى المعلومات الحكومية وسواها في شكل تلقائي ومباشر ومن دون حواجز، ويستطيع أي صحفي أن يطلب من صاحب شركة أن يكشف له عن رواتب موظفيه متسلحاً بضرورة الشفافية، التي يحميها القانون تسهيلاً للمحاسبة ومحاربة الفساد، ولشدة التسهيلات التي يتمتع بها الصحفيون الأمريكيون، فقد أدى ذلك بهم إلى الغرق في تفاصيل القضايا الأمريكية الداخلية بحيث أصبحوا مغيبين عن مشاكل الصحافة في العالم.¹¹

مباشرة بعد هذه الانطلاقة التي شهدتها الممارسة الصحفية الاستقصائية في الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت هذه الأخيرة تتوسع على نطاق واسع في باقي بلدان العالم وتم تسخيرها في مجالات متعددة بغية كشف الفساد في المجتمع وتقديم الرؤية الاستقصائية الشاملة التي لا تستطيع أن تقدمها وسائل الإعلام الأخرى، وقد صاحب هذا نمواً متزايداً في توظيف الحاسبات الالكترونية لأغراض تصنيف المعلومات والبيانات الكثيرة التي يحصل المحررون الاستقصائيون عليها، وتحليلها بشكل يساعدهم على الوصول إلى خلاصات كمية دقيقة، وعبر هذا وذاك صارت المنافسة قوية على الصحافة

⁸ بشرى حسين الحمداني، التغطية الصحفية الاستقصائية (تحقيقات عابرة للحدود) دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ط 1، 2012، ص: 22، 21.

⁹ عيسى عبد الباقي، الصحافة الاستقصائية: أطر نظرية ونماذج تطبيقية، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2013، ص: 9.

¹⁰ المرجع نفسه، ص: 40.

¹¹ عزام أبو الحمام، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، 2014، ط 1، ص: 22، 23.

الاستقصائية، في جميع الصحف العالمية، لكن على الرغم من الدور المهم الذي تلعبه الصحافة الاستقصائية في كشف الحقائق والخفايا، إلا أن هذا النوع في المنطقة العربية شهد تأخراً لأسباب وعوامل عديدة إذ يرى الباحث عزام أبو الحمام بأن " الصحافة الاستقصائية لا يمكن أن تنشأ إلى في ظل قدر كاف من الديمقراطية التي توفر الحماية للصحافة والصحفيين، وحتى أواخر القرن العشرين كانت معظم الدول العربية تعاني من ضعف المنسوب الديمقراطي في أنظمتها السياسية والتشريعية خصوصاً ما تعلق منها بحريات النشر والتعبير والحصول على المعلومات مما لم يوفر الشروف والظروف اللازمة لظهور تحقيقات صحفية استقصائية يعتد بها.¹²، لكن على الرغم من هذا المخاض العسير إلا أن هناك انفراج نسبي في بروز صحافة استقصائية على صعيد أكثر من بلد عربي، وتشكل سنة 2010 أولى البدايات حيث أطلقت شبكة ARI والمركز الدولي للصحفيين برنامجاً طموحاً لتأسيس صحافة استقصائية وذلك عبر إنشاء خمس وحدات متخصصة في عدد من الدول من بينها: الأردن، فلسطين، مصر، وهي تسعى لتغطية المناطق الأخرى أيضاً، وعموماً فقد برز الاهتمام مؤخراً بالصحافة الاستقصائية في باقي الدول العربية الأخرى من خلال بعض الصحف أو المراكز الأكاديمية والتدريبية أو من خلال بعض الصحفيين بشكل فردي، لكن تلك الجهود لا تزال دون مستوى العمل الممنهج المرتكز على مؤسسات دائمة لا القليل منها.¹³ ومن خلال هذه الخطوة يتضح بشكل ملموس أن هناك آفاقاً واسعة لازدهار مثل هذا النوع من الصحافة وتعميمه على كافة الدول العربية، ولنا خير مثال في قناة الجزيرة وذلك عبر قيامها بأعمال استقصائية وكان من بينها برنامج " سري للغاية " الذي يعده ويقدمه الصحفي " يسري فوده " ونجح هذا البرنامج وحضي بشعبية كبيرة على مستوى العالم العربي قاطبة، ومن هنا كانت قناة الجزيرة بلا شك صاحبة أول تجربة استقصائية بالمنطقة العربية وكانت بمثابة المؤسس الأول لمنهج إعلامي جديد دأبت عليه الكثير من الفضائيات الأخرى.

المحور الثاني: الأسس والأساليب الفنية الكتابية للصحافة الاستقصائية.

إن عملية الكتابة للصحافة الاستقصائية صعوبتها لا تخفى على أحد، فوضع الكلمات والأفكار وترجمتها على الورق ليس بالأمر الهين أو اليسير كما يعتقد البعض، فالكثير منا يواجهون صعوبة بالغة في التعبير الكتابي، في حين أن هذه الصعوبة تغيب أثناء العملية الشفهية، وربما يعزى السبب في ذلك إلى اعتبارات عدة منها ما يتعلق بالجانب القرائي المنظم ومنها ما يعود إلى مشاكل نفسية صرفة. وبما أن الكتابة في عموميتها تعد من أبرز وسائل مهارات الاتصال البشري، وبها أيضاً يتجاوز الإنسان حدود الزمان والمكان، وفيها تمنح الحياة للكلمات جامدة وقعها في النفوس والعقول والمعاجم، فهي مخاض فكري عسير، يصور معاني قائمة في نفس الكاتب أو مستوحاة من بيئته الاجتماعية، أو تلك التي تبرز من خلال الصور الباطنة لتوجهاته، ويجعلها محسوسة وظاهرة، ومن هنا تعتبر كتابة التحقيق الصحفي واحدة من المحطات التي تبرز فيها كفاءات المحرر وقدراته المهنية، فمن خلالها يتواصل مع القارئ ويقدم خلاصة تجميعية للمراحل

¹² عزام أبو الحمام، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، 2014، ط1، ص: 17.

¹³ عيوني نجم الدين، مهنة تقصي الحقائق: قراءة في المفهوم والتطور وآليات الانجاز، مجلة آفاق للعلوم، المجلد 04، ع، 16، 2019، ص: 234.

السابقة، كما تتطلب كتابة التحقيق معرفة جيدة بصياغة التقرير الإخباري، وأسلوب الحديث الصحفي والإلمام بالتقنيات الجديدة الخاصة بإعداد الريبورتاج الصحفي على اعتبار أن الصحفي أثناء كتابته للتحقيق الصحفي سيكون في حاجة ماسة إلى استخدام كل الأجناس الصحفية في تحقيق واحد.

ولعل أولى المبادئ التي يجب أن يضعها الصحفي صوب أعينه أثناء صياغته لمادة إعلامية هو أنه لا يكتب لنفسه أو لفرد بقدر ما هو حامل لرسالة موجهة لفئة عريضة من القراء، والمستمعين والمُشاهدين يشتركون في أشياء كثيرة، كما يجب أن يضع في حسابه، أن لكل كلمة ولكل صورة هدفاً معيناً. فالتحقيق الصحفي المكتوب على سبيل المثال يجب أن يكون جيداً ومؤثراً، كما أنه يجب أن يكون مقنعاً على اعتبار أن هذه الخاصية الأخيرة تعد من بين الأهداف الرئيسة التي تسعى التحقيقات الصحفية إلى إبرازها سواء كانت مكتوبة أو مصورة، وبالتالي فانعدام هذه الخاصية يعني غياب الرسالة التي جاءت من أجلها هذه التحقيقات، وتصبح بمثابة مضيق للوقت في نظر القارئ المحب لهذا الجنس الصحفي أولاً، وكذا معظم رجال الإعلام الناجحين، الذين يعتبرون التحقيق وسيلة من وسائل الاتصال وأداة فعالة من أدوات الرقابة والتحقق من دقة البيانات والمعلومات التي يتضمنها التحقيق، وذلك لاعتبارها عاملاً أساسياً في الحكم على مدى جودته حتى يكسب ثقة الجهة المقدم إليها، ويوفر لها إمكانية الاعتماد على التحقيق في اتخاذ قرار معين.

إن الكتابة الصحفية الاستقصائية هي الكتابة التي تتفاوت أهميتها حسب الكاتب وحسب مادة التحقيق، وهنالك كتاب صحفيون اشتهروا على مستوى العالم أجمع؛ لأنهم استطاعوا أن يتركوا بصمات واضحة وثابتة في المجال الذي يكتبون به خصوصاً في بعض الدول الغربية التي تعطي مساحة واسعة وسقفاً غير محدود من الحرية للصحفيين بحيث أن بعض هذه الدول لا توجد بها خطوط حمراء على الإطلاق ونحن جميعاً نذكر كيف استطاع الصحفي الأمريكي (بنجامين برادلي) أن يجبر الرئيس الأمريكي نيكسون على الاستقالة من خلا تحقيق على شكل مقال نشره في صحيفة الواشنطن بوست ذكر فيه أن الحزب الجمهوري برئاسة الرئيس نيكسون وضع أجهزة تنصت في مقر الحزب الديمقراطي أثناء الحملة الانتخابية لرئاسة الجمهورية وهو ما يعرف بفضيحة ووترغيت، هذه الفضيحة شكلت محطة مهمة في تطور الصحافة الاستقصائية من خلال "فضح الفساد السياسي والحيل القذرة التي كانت تجري بتوجيه من مسؤولين في البيت الأبيض خلال رئاسة نيكسون، ومما عزز من قوة الصحافة ولفت الانتباه إلى أهمية القيام باستقصاءات صحفية لا تعتمد على ما تقوله المصادر فحسب، بل من خلال الوسائل والأدوات المختلفة في الاستقصاء، وصولاً إلى كشف الحقائق وفضح الألاعيب التي عادة ما تختفي خلف ستار من التصريحات والأنشطة الزائفة".¹⁴ والجدير بالذكر هنا أن تأثيرات فضيحة روترجيت لا يزال يحتل مكانة أسطورية في إعلاء الصحافة المعاصرة، في ضوء الدراسات المعاصرة

¹⁴ عزام أبو الحمم، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، 2014، ط 1، ص: 26.

التي تصدت بالنقد للسياسات المفرطة في السرية والتكتم التي تتقيد بها الحكومات حتى في أبسط الأمور، وهو ما يدفع البعض إلى محاولة تسريب المعلومات المشينة إلى خراج الدوائر الحكومية.¹⁵

تماشياً ونفس السياق نشير إلى أن وصول الصحفي الاستقصائي إلى غايته وأهدافه يجب عليه أن يتتبع آلية معينة منضبطة ومنهجية في البحث والتنقيب، وهي عبارة عن خطوات يجب على الصحفي أن يلتزم بها للوصول إلى تحقيق استقصائي ناجح وهي:

أولاً: قبل إعداد أو كتابة التحقيق الصحفي.

يجب أولاً، أن نسجل بعدم الاستهانة بما تحقّقه الصحافة الاستقصائية للمجتمع من فوائد عظيمة، فتعريف الصحافة الاستقصائية يجب أن يخرج من النظرة التقليدية للصحافة بالنشر الفوري، بل تعتمد الصحافة الاستقصائية على أن يكون الصحفي رقيب في المجتمع، ينشر الأخطاء ويوجه الاتهامات ويبحث ويطالب بالتغيير والإصلاح ولن يتأتى هذا الأمر إلا من خلال وجود صحفي نزيه ومؤسسات صحفية حرة، على اعتبار أن أهمية الصحافة الاستقصائية تكمن في الأدوار التي تقوم بها خدمة للوطن والمجتمع، وبالتالي فالمحرر الصحفي أو الكاتب الذي يكتب لهذا الجنس الصحفي يجب أن يقف عند مجموعة من العناصر الأساسية التي تسبق مرحلة الكتابة، وهي بمثابة أسئلة موجهة للمحرر الصحفي والمتمثلة فيما يلي:

- لماذا تم اختياري أنا بالذات لكتابة التحقيق الصحفي؟ : على الصحفي في هذه المرحلة أن يبحث عن الجواب الصحيح لهذا السؤال، فاختياره للتحري وكتابة التحقيق لم يكن بمحض الصدفة ، وإنما يكون بناء على مجموعة من الاعتبارات منها ما يتعلق بخبرته الأكاديمية أو العلمية أو الميدانية أو كليهما، وعليه في هذه الحالة –الصحفي- أن يثبت جدارته ومهارته في إعداد وكتابة التحقيق، وفي نهاية هذه المرحلة، مرحلة الانتهاء من التحري وجمع الحقائق وإعداد التحقيق وكتابته، سيصبح خبيراً أو ملماً بكل جوانب كتابة التحقيق الصحفي سواء ما تعلق منها بأخلاقية المهنة الصحفية مروراً بالجانب القانوني... وهلم جرا من القواعد المتعارف عليها في الكتابة والتحرير، وعبر هذا وذاك سيكون الصحفي الاستقصائي مسؤولاً عن محتويات تحقيقه ومضمونه، ومجموع الحقائق والبيانات التي جاءت مرفقة به، فكل هاته الأمور وأخرى منها لا تكون بمعزل عن المسؤول الأول في المؤسسة الصحفية، لأنه من الأجدر بالصحفي أن يوضح ذلك لرب العمل، أو للشخص الذي كلفه بكتابة التحقيق، لأن الصحفي الغير مقتنع بقدراته على إنجاز أو إتمام عمل ما، لن يتمكن من إتمامه مهما بذل من جهد، ومن الأفضل عدم الخوض فيه وتركه لغيره.

¹⁵ عيسى عبد الباقي، الصحافة الاستقصائية: أطر نظرية ونماذج تطبيقية، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2013، ص: 45.

- ما هو مطلوب مني كمحرر صحفي؟ : في حالة قدرة الصحفي خوض غمار التقصي والكتابة، عليه أن يسأل نفسه عما هو مطلوب منه بالضبط، ويتم ذلك باتباع أحد الأساليب التالية، أو مجموعة منها، أو جميعها:

تحديد أهداف التحقيق الصحفي عن طريق مناقشة موضوع التحقيق مع رئيس المؤسسة الصحفية، أو مع مدير النشر، والتأكد من أن الأهداف المطلوبة هي فعلاً الأهداف التي يريدون منك كصحفي تحقيقها، فقد يحدث أحياناً أن تتحدد الأهداف تحريرياً، لكن البحث عن الحقائق والوصول إلى البيانات والمعطيات وترجمتها في الواقع هو ما يوضح بصورة أفضل طبيعة الأهداف المطلوب تحقيقها، ثم التأكد من أن كلا الطرفين، سواء الصحفي الاستقصائي -المحرر- والمؤسسة الصحفية أو الإعلامية التي طلبت إجراء التحقيق، متفقان على صيغة وأسلوب وأهداف التحقيق، وبالتالي إذا اختل شرط من هذه الشروط يصبح موضوع التحقيق مضيعة للوقت، ولن يصيب الغرض المنشود من ورائه، وتعد الأهداف في هذا المقام بمثابة " معايير رقابية تستخدم من قبل معد التحقيق الصحفي لمعرفة درجة كفاءة الخطة الموضوعية لتنفيذ التحقيق، ولمعرفة مدى النجاح أو الفشل الذي حققته الجهود المبذولة من قبل معد التحقيق في إعداد تحقيقه، وعليه فإن التحديد الدقيق للأهداف مرحلة أساسية في عملية التخطيط للتحقيق، حيث تعمل الأهداف على استخدام الموارد المتاحة لمعد التحقيق لإنجاز ما هو مطلوب، فعلى ضوء الهدف المرغوب يضع معد التحقيق خطة عمله، لذلك فإنه من المهم جداً، عند تحديد الأهداف القيام ببعض الإجراءات من قبيل: دراسة مدى أهمية الأهداف للجمهور الذي يرغب معد التحقيق الصحفي الوصول إليه، وما مدى اتفاق هذه الأهداف مع السياسة التحريرية للجريدة سواء كانت ورقية أو إلكترونية، ثم التأكد من مدى ارتباط الأهداف بمحتوى التحقيق باعتباره الوسيلة الأساس التي تتحقق من خلالها الأهداف".¹⁶

- ما هو الهدف من إجراء وكتابة التحقيق؟: في هذا الإطار على الصحفي الاستقصائي أن يكون ملماً بالهدف الذي يسعى التحقيق إلى تحقيقه، وأن يكون شخصاً مقتنعاً بأن الموضوع أو المشكلة أو الظاهرة التي يبحث فيها تؤدي إلى هدف معين أو عدة أهداف. ولكي نوضح أكثر هذه النقطة نشير إلى أن المحرر الصحفي الاستقصائي الذي لا يكون مقتنعاً بالهدف الذي يروم التحقيق إصابته، لا يمكن له أن يؤثر بالجهة المقصودة أو الشخص المقصود من خلال تحقيقه، ولهذا فإن المؤسسات الإعلامية الحديثة والمنظمات الإعلامية العالمية قد وضعت دليلاً شاملاً مهمته توضيح أهمية الصحافة الاستقصائية، وتمكين الصحفيين من إدراك أهمية التحقيقات الصحفية الأولية والعمل على تشجيعهم وتحفيزهم على الخوض في مثل هكذا تجارب. وفي كل الأحوال فالمحرر الصحفي الاستقصائي تقع عليه مسؤولية البحث والوصول إلى الحقائق، كما تقع عليه تبعات أية معلومة مغلوطة والتي قد تؤدي أحياناً إلى دفع ثمن عمره مقابل ذلك. وعليه؛ فإن التأكد من المعلومات والبيانات والمعطيات الصحفية ستساهم بلا شك في مهمة إيصال

¹⁶ عبد الملك بن عبد العزيز بن شهلوب، التحقيق الصحفي، أسسه-أساليبه- اتجاهاته الحديثة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط 1، 2004، ص: 260 .

الرسالة الإعلامية المطلوبة إلى الجهة المقصودة ، و حتما سيؤدي التحقيق الصحفي دوره الفعال في التأثير في الرأي العام وإقناعه بجدوى إحداث التغييرات التي جاء بها التحقيق، لكن هذا الأمر لن يتحقق إلا من خلال مرور الصحفي عبر محطات عملية مهمة بدءا بما يسمى الملاحظة بالمشاركة، المتمثلة في تنكر الصحفي وتعايشه داخل مجتمع الدراسة الذي يقوم بمتابعته.

لذلك فإن من أهم الصعوبات التي تواجه المحقق الصحفي ليس في جمع المعطيات وترجمتها كتابيا، وإنما في الصيغة أو الكيفية التي تساعد في إيصال الأفكار والتأثير في القارئ والرأي العام بصفة عامة، "ووفق هذه الرؤية فإن كشف وسائل الإعلام الانحرافات في المجتمع يقود ، إلى تغيير توجهات الرأي العام من أجل المطالبة بالإصلاحات، ويقال أن الكشف عن المعلومات السرية المتعلقة بالأخطاء أو انعدام العدالة في المجتمع، يؤدي إلى تحفيز الرأي العام للدفاع عن حقوقهم ومصالحهم ، فالمواطنون الغاضبون يطالبون باتخاذ إجراءات تصحيحية، ومن ثم يجب أن يقوم الساسة بإصدار القوانين التي تؤطر الإصلاحات ، أو من خلال نموذج العامل المحفز، وفيه تقوم الصحافة الاستقصائية بدور العامل المحفز نحو الإصلاحات من خلال إثارة الرأي العام للمطالبة بالإصلاح ، باعتبار أن المعلومات السرية التي تقوم الصحافة الاستقصائية بكشفها أمام الرأي العام تقود مباشرة إلى تغييرات في الرأي العام ، وبالتالي خلق كتلة شعبية غاضبة ومتحفزة والتي تؤدي مباشرة إلى الإصلاح".¹⁷ ، إن ترجمة هذه الأسئلة السالفة الذكر على هذه الأرض الواقع تعد من بين أصعب العمليات التي ترافق عملية كتابة التحقيق، على اعتبار أن هذا الأخير يعتمد أساسا على توفر المعلومات ذات الصلة والارتباط بأهداف البحث الاستقصائي، لأنها بكل بساطة تشكل القلب النابض للتحقيق الصحفي الجيد، لذلك فإن مسألة جمع البيانات والمعلومات لم تأت عبثا أو بمحض الصدفة وإنما بناء على مصدرين رئيسيين:

أ): مصادر البيانات والمعلومات الداخلية: وهي مصادر من داخل المؤسسة الصحفية أو الإعلامية التي يمكن أن تتوافر فيها البيانات والمعلومات، فالأنشطة الصحفية على اختلاف أنواعها وأشكالها لاشك أنها تحفظ في السجلات والتقارير بالبيانات والمعلومات الضرورية عن مجال العمل، ويمكن الرجوع إليها وقت الحاجة إليها، عن طريق مراكز الأرشفة المركزية والفرعية، وفي بعض الأحيان الرجوع إلى المسؤول الأول في المؤسسة الصحفية لما راكمه من خبرات وتجارب في جمع المعلومات وتوثيقها،، ومن هنا فإن " المعلومات تعد عصب العملية الإعلامية عامة والعملية التحريرية خاصة، فهي المادة التي يسعى الإعلاميون لجمعها واستكمالها ومراجعتها وتنقيحها وصياغتها".¹⁸

¹⁷ عيسى عبد الباقي موسى، الصحافة الاستقصائية وصناعة القرار السياسي - دراسة في المدخل الرقابي لوسائل الإعلام، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2014، صص: 5,6 .

¹⁸ عبد الملك بن عبد العزيز بن شهلوب، التحقيق الصحفي، أسسه-أساليبه- اتجاهاته الحديثة، مكتبة الملك فهد ،الرياض، ط1، 2004، ص: 261 .

تماسيا ونفس السياق تجذر الإشارة إلى أن عملية جمع المعلومات والبيانات وتخزينها قصد استرجاعها وقت الحاجة أصبحت من الأمور التي تملحها ضرورة العصر.

(ب) : مصادر البيانات الخارجية: وهي من المصادر التي يتم الحصول منها على البيانات والمعلومات من خارج نطاق المؤسسة الصحفية، " ففتح مصادر المعلومات أمام الصحفيين والإعلاميين من مختلف مصادرها دون قيود وبضمانات قانونية تحمي الصحفيين في الحفاظ على أسرار مصادره يمكن أن يشكل أساسًا لتطوير نظام إعلامي متميز يساهم في الكفاح من أجل تحقيق الديمقراطية"¹⁹، كما أن الصحفي يمكنه أن يستفيد من وكالات الأنباء ، التي أصبحت تقدم خدماتها لمستخدميها من خلال الشبكات، والتي تبث عبر الأقمار الصناعية، إضافة إلى الصحف والمجلات الوطنية والأجنبية، إلى جانب هذا كله يجب " أن تكون المعلومات المقدمة في متن التحقيق الصحفي مفهومة وسهلة القراءة وخالية من التعقيدات والأفكار المجردة والمصطلحات المعقدة التي تدفع القارئ إلى البحث عن مصادر للمعلومات تكون أكثر انقراءية، أيضا هذه المعلومات لابد أن تكون صحيحة وصادقة وتظهر الحقيقة وتكشفها، وأن يكون الصحفي موضوعيا وصادقا ودقيقا ومنصفا وجريئا، يضع الصالح العام وخدمته نصب عينيه دائما."²⁰

من هذا كله يجب أن ينتبه الصحفي أن ليس كل المعلومات التي تجمع يجب أن تدخل في التحقيق، حيث هناك معلومات وبيانات قد لا يسمح المجال لاحتوائها في التحقيق، أو قد لا يكون من الضروري إدراجها ضمن التحقيق، لكن من الضروري في مرحلة جمع المعلومات أن يقوم المحقق الصحفي بجمع كل ما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع التحقيق، على أن يقدر فيما بعد اختيار أنسبها وأكثرها صلة بصلب الموضوع، ثم يقوم بترتيب المعلومات حسب الأولويات أو تلك التي يراها أكثر أهمية من غيرها مع اختيار القالب الصحفي المناسب لكتابتها مع الأخذ بعين الاعتبار تلك المعطيات التي تخدم التقرير الصحفي بالدرجة الأولى، مع تجنب تكرار المعلومات مهما بلغت قيمتها وأهميتها، إلا في حالة الاستطلاعات الصحفية المقارنة حيث يتطلب الأمر العودة إليها لأغراض المقارنة والتحليل أو التدعيم، وبالتالي فالصحافة من -خلال المعلومات المقدمة عبر التحقيق الصحفي" تسهم في صنع القرارات ووضع السياسات، إما باعتبارها صاحبة مصلحة خاصة بالقرار، أو باعتبارها وسيطا نشطا يسهم في التدفق العام للمعلومات، وذلك من خلال تغذية عملية صنع القرار، كما أن عدم الاهتمام بالمعلومات بالصورة المأمولة يؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة للقارئ العربي، حيث إن خلط الوقائع بالأراء والحقائق بالتعليقات الرسمية في الخطاب الإعلامي، وحالة الفقر

¹⁹ عيسى عبد الباقي موسى، الصحافة الاستقصائية وصناعة القرار السياسي - دراسة في المدخل الرقابي لوسائل الإعلام، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2014، ص: 49.

²⁰ عبد الملك بن عبد العزيز بن شهلوب، التحقيق الصحفي، أسسه-أساليبه- اتجاهاته الحديثة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط 1، 2004، ص: 262.

المعلوماتي التي ترافق مضامينه، كلها أمور تدفع إلى صناعة واقع سياسي متناقض وغير مستقر وقابل للذوبان أمام صراحة الواقع.²¹

ثانيا: مراحل إعداد وكتابة التحقيقات الصحفية:

تعتمد التحقيقات الاستقصائية على التخطيط لكل مرحلة لأن التعامل مع حجم ونوع المعلومات التي يجمعها الصحفي الاستقصائي قد يكون صعبا ما لم يكن ذلك الأمر قائما على خطة توضح التسلسل الزمني والمنطقي للمعلومات التي يعالجها التحقيق الاستقصائي، والمقصود هنا بالتخطيط الصحفي "مجموع التدابير والخطوات التي تتخذ لإجراء التحقيق الصحفي، والهادفة إلى تعبئة الجهود والاستفادة من الإمكانيات والموارد المتاحة التي يمكن استخدامها وكيفية الاستخدام الأمثل لها لدعم مشروع التحقيق الصحفي، والتخطيط وفق هذا المفهوم هو ما تؤكد كثر من الدراسات التي ترى أن التخطيط والتنظيم المحكم والدقيق دعامة قوية من دعائم نجاحه".²²

ويقوم التخطيط للتحقيق الاستقصائي على أساس عدد من الخطوات التي يتبعها الصحفي لإنجاز تحقيقه الاستقصائي وهي:

- تحديد المشكلة أو الظاهرة أو القضية : لابد أن ينطلق التحقيق الاستقصائي من ملاحظة المحقق الصحفي لظاهرة تقع بشكل منتظم، أو قضية تأخذ جدلا لافتا ولا تتوفر المعلومات الكافية حولها، أو مشكلة ما يعاني منها فئة من الناس، فحين يتلمس الصحفي هذا الأمر تنطلق العملية الاستقصائية، "وتعد هذه الخطوة أولى خطوات التحقيق الصحفي وأساس بنائه، فاختبار الموضوع هو الخطوة الحاسمة والأكثر أهمية بالنسبة للتحقيق الصحفي، وتأتي موضوعات التحقيقات الصحفية من مصدرين ، الأول يتعلق برؤساء التحرير المتمتعون بسعة الاطلاع والساعون وراء كل ما هو جديد ومهم بأفكار جديدة تتسم بالحيوية والتشويق والإثارة، يقدمونها لمعدي التحقيقات، والثاني من معدي التحقيق الصحفي أنفسهم انطلاقا من دراسة الموضوع بتعمق قبل الشروع في تنفيذه، بمعنى حصر العناصر وتحديد، أو تحديد أهم الجزئيات في الموضوع".²³

بعد تحديد الموضوع ينتقل الصحفي إلى المرحلة الثانية ويتعلق الأمر هنا بما يسمى البحث الأولي :حين تلفت الظاهرة أو المشكلة أو القضية انتباه الصحفي، فإنه لابد أن يطرح سؤالا أساسيا يدفعه للبحث عن معلومات أولية لتتضح له الصورة، والمعلومات التي يجمعها بشكل أولي مما يساعده على بناء الفرضية التي سيبنى عليها التحقيق الاستقصائي.

²¹ عبد الملك بن عبد العزيز بن شهلوب، التحقيق الصحفي، أسسه-أساليبه- اتجاهاته الحديثة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 2004، ص: 262، 263.

²² المرجع نفسه، ص: 258

²³ المرجع نفسه ، ص: 259 .

- **الفرضية :** ما يميز التحقيق أنه يقوم على تكوين وبناء فرضية دقيقة ومحددة وبعبارات مختصرة وذات دلالة، فعند إثباتها يكون لدينا تحقيق استقصائي يصلح للنشر، وعندما تنفي الفرضية ينتهي أمر التحقيق. وتعرف الفرضية في الصحافة الاستقصائية بأنها مقترح يشخص مشكلة أو قضية مطروحة للتقصي والبحث والتوثيق؛ بهدف الوصول إلى حقيقة ما جرى، عبر خلق علاقات بين الحقائق والافتراضات.
- **الحصول على الموافقة:** لا بد أن يحصل الصحفي على موافقة رئيس التحرير أو وسيلة الاعلام على فرضية التحقيق، لضمان نشره في وسيلة الاعلام التي يقع على عاتقها تبني التحقيق الاستقصائي باعتباره عملاً مكلفاً مالياً، ويحتاج لدعم لوجستي وفي كبير من المؤسسة الإعلامية.
- **الأسئلة الرئيسية :** في العادة يكتفي الصحفي الاستقصائي بالفرضية، لكن هذا لا يمنع من أن يضع الصحفي أسئلة محورية مبنية على الفرضية، لتكون خطة الوصول للمعلومات التي يحتاج الإجابة عليها، أيضاً تكون الأسئلة في خدمة الفرضية التي يقوم عليها التحقيق الاستقصائي، ولعل أفضل الأسئلة التي يمكن أن يستخدمها الصحفي الاستقصائي " هي تجمع بين الأسئلة المفتوحة والمغلقة، ولكل نوع منها مميزات تميزه عن الآخر، فالأسئلة المفتوحة تبدأ عادة بسؤال كيف ولماذا، فهذا النوع من الأسئلة مفيد جداً في موضوعات التحقيقات التي تتطلب رأياً معيناً حول قضية أو مشكلة أو ظاهرة، أما الأسئلة المغلقة فهي توجه معد التحقيق الصحفي إلى إجابات معينة.²⁴
- **البحث عن المعلومات :** وهي المرحلة التنفيذية الحقيقية من عمل التحقيق الاستقصائي، ولكن ليس أي معلومات فالصحفي الاستقصائي يبحث عن معلومات متخفية بين زحام الوثائق.
- **فحص المعلومات :** لا بد أن يكون الصحفي قادراً على تقييم وتصنيف المعلومات من حيث الدقة والمصادقية التي تتمتع بها هذه المعلومات، فالمحقق الصحفي لا يتعامل مع المعلومات والمعطيات بشكل مجرد بل يحلل ويراجع ويقيس مدى صدقها ودقتها.
- **التسلسل الزمني والمنطقي :** وهي مرحلة ازدحام المعلومات والوثائق ذات العلاقة بفرضية التحقيق، هنا لا بد أن يعمل الصحفي على تسلسل زمني ومنطقي للمعلومات التي بحوزته، كي تصنف ويجري فحصها ووضعها في سياقها الواضح كي تصل للجمهور بسهولة ويسر.
- **كتابة النص والتحرير :** عند اكتمال الخطوات السابقة تبدأ الكتابة النهائية لنص التحقيق، وهي مرحلة مهمة لأن أسلوب الكتابة وطريقة المعالجة لها دور كبير في نجاح التحقيق الاستقصائي.

²⁴ عبد الملك بن عبد العزيز بن شهلوب، التحقيق الصحفي، أسسه-أساليبه- اتجاهاته الحديثة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 2004، ص: 268، 269.

- النشر : قبل نشر التحقيق يقع على عاتق الصحفي ووسيلة الإعلام وضع خطة النشر بحيث تراعي الخطة الوقت الذي سينشر فيه التحقيق وزمن أو مساحة التحقيق.

- رجع الصدى : يحرص كبار الصحفيين الاستقصائيين على عدم التوقف عند لحظة نشر أو بث التحقيق بل يتابع الصحفي ردود الفعل على التحقيق ويحاول قياس الأثر على الجمهور، فربما تولد مرحلة جديدة في القضية أو المشكلة التي يناقشها. وعليه؛ فإن ما يميز التحقيق الاستقصائي أنه يقوم على منهج بحثي يشبه لحد كبير البحث العلمي ومن أهم الخطوات العلمية التي يركز عليها التحقيق الاستقصائي بناء الفرضية، وهي بمثابة الفكرة التي توجي به الملاحظة فتكون بمثابة الخطوة نحو إثبات الفكرة أو نفيها، وبالتالي فإن الفكرة التي تتكون منها الفرضية تقوم على أساس علاقة ذات أثر معين، وتتكون هذه العلاقة بين ما نسميه متغيرين، ويتأثر أحد المتغيرين بالآخر، وهنا تظهر القضية أو القصة التي قد تستحق البحث والاستقصاء، فيجب إثبات العلاقة لبدأ التحقيق أما في حالة النفي ينتهي التحقيق.

في ختام هذا المحور نشير إلى الكتابة للصحافة الاستقصائية لا يمكن أن تقوم وتتأسس إلى وفق المناهج العلمية المتعرف عليها، والتي نقصد بها الأساليب والأدوات والطرائق المعتمدة في التعاطي مع موضوع استقصائي ما، وكيفيات جمع المعلومات وتوظيف المصادر، لذلك لابد من الاستفادة من الخطوات المنهجية للبحث العلمي في التصدي لموضوع معين، وهي "عبارة عن مجموعة من المراحل التي تتميز بالتسلسل والتتابع من ناحية وبالتداخل والترابط من ناحية أخرى، وتتضمن الإحساس بالمشكلة، ودراسة المشكلة، وفرض الفروض، ووضع مجموعة من التساؤلات، وتحديد نوع البحث، وتحديد طرق جمع البيانات وتصميمها، والمعالجة الإحصائية للمشكلة، وجمع البيانات وفقا للطرق التي تم تصميمها لهذه العملية، والمعالجة الإحصائية للبيانات التي تم جمعها، واستخدام النتائج التي انتهت إليها الدراسة والتعميم، والتنبؤ".²⁵

المحور الثالث: المداخل النظرية المفسرة للصحافة الاستقصائية.

لقد كانت الصحافة ولا تزال تلك الوسيلة النبيلة التي تقوم بعدد لا حصر له من الوظائف والمهام والأدوار تتباين فيما بينها تبعاً لهامش الحرية والديموقراطية المتاحة في النظم السياسية المختلفة، ومدى التزام هذه الوسائل بوظائفها وأدوارها تجاه القارئ والمجتمع ككل، والحقيقة أن عصر اليوم وما شهده من تطور تقني فاق كل التوقعات، لم تعد هذه الوظائف حبيسة على ما كانت عليه سابقا سواء تلك المتمثلة في الإخبار والشرح أو تلك المتعلقة بالتحليل والتفسير، وإنما امتدت إلى مجالات عديدة ومتنوعة مثل مراقبة الشؤون السياسية والأزمات المجتمعية، هذه الأخيرة التي أصبحت اليوم من أولويات وسائل الإعلام تماشيا وما تعيشه الإنسانية اليوم من حروب وصراعات سياسية

²⁵ محمود سليمان علم الدين، التحقيق الصحفي كشكل من أشكال التغطية الصحفية التفسيرية والاستقصائية، مقال منشور ضمن مؤلف جماعي بعنوان ضوابط التحقيقات الصحفية الأمنية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ط 1، 2010، صص: 74، 75

واقتصادية، وصحية...، وعليه فإن هذه الوقائع والأحداث والظواهر تشكل مادة دسمة للإعلام بشكل عام والصحافة الاستقصائية بشكل خاص حيث أخذت على عاتقها نقد الأحداث وكشف حقائقها، والعمل على إرساء ثقافة الرأي والرأي الآخر.

عموماً يمكن تفسير اشتغال الصحافة الاستقصائية انطلاقاً من مداخل نظرية متعددة وهي كالآتي:

أولاً: المدخل الرقابي (نظرية الرقابة):

تمارس الصحافة وظيفة الرقيب على أداء المؤسسات والأجهزة، ونقد السياسات والتوجهات العامة، وذلك بغية كشف أوجه القصور والخلل اللذان يشوبان أداءها، تطلعاً لإصلاح المجتمع وتطويره، ولعل هذا الأمر هو ما يؤكد عليه المدخل الرقابي لوسائل الإعلام انطلاقاً وما تقوم به الصحافة من مراقبة شاملة لصالح المجتمع عبر "انتقاد Criticize" وتقييم "Evaluate" أداء الحكومة والمؤسسات الأخرى، الفكرة الرئيسية لنظرية الرقابة للصحافة تتمثل في أن الصحافة يتعين عليها أن تقوم بحماية المواطنين من أية انتهاكات يمكن أن تقوم بها الحكومة أو الأفراد الآخرين من ذوى النفوذ أو المؤسسات في المجتمع".²⁶ وبهذا فإن الوظيفة الرقابية والنقدية التي تمارسها الصحافة الاستقصائية تساهم بشكل كبير في دعم عملية التحول الديمقراطي والسياسي وذلك من خلال جملة من الآليات أبرزها الدفاع عن منظومة حقوق الإنسان السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن مواجهة الفساد وإهدار المال العام.

عموماً تصنف الوظيفة الرقابية لوسائل الإعلام إلى صنفين رئيسيين هما:

- وظيفة التحذير أو التنبيه: تتحقق هذه الوظيفة عندما نخبرنا وسائل الإعلام بالتهديدات المتوقعة، منها على سبيل المثال، التهديدات المتوقعة من تزايد التهديدات الاقتصادية لأسباب تواجهها أسواق العالم في مرحلة ما، ومع ذلك هناك الكثير من المعلومات التي تهدد المجتمع بشكل خاص إلا أنه يرغب عادة في معرفتها.
- وظيفة الرقابة النفعية: هذه الوظيفة تحدث عندما تقوم وسائل الإعلام بتزويد الناس بالمعلومات المفيدة في الحياة اليومية، مثل نقل أخبار البورصة، والرياضة، والمنتجات الجديدة، وغيرها.²⁷ ويعني ذلك أن الصحافة الاستقصائية تستغل بمنطق السلطة الرقابية وضوابطها المعيارية الكاشفة لأي تجاوزات في ممارسات السلطة أو انتهاكات حقوق الأفراد والجماعات لتكون رقيباً على مدخلات ومخرجات المؤسسات السياسية والمجتمعية وتبرز مظاهر القصور التي تعترى أدائها وانحرافات المسؤولين عنها، ومن هنا "فالرقابة الإعلامية كما يعرفها الباحث هنري هيربرت بأنها سياسة الحد من التعبير العام عن الأفكار والآراء والدوافع والمثيرات التي يمكن أن تكون أو يكون لها تأثير على تقويض السلطة الحكومية أو تقويض النظام الاجتماعي والأخلاقي التي تعتبر السلطة بأنها ملتزمة بحمايتها، كما ويطلق على الرقابة الإعلامية بالرقابة الصحفية أو رقابة المطبوعات وهي عملية فحص المطبوعات قبل نشرها أو بعد نشرها وذلك للموافقة على مضمونها أو لحذف بعض المواد المنشورة بها أو بعض فقراتها، وليس ضرورياً أن تكون الجهة التي تقوم بالرقابة جهة

²⁶ عبد الرحمن سامح حسنين، الوظيفة الرقابية للصحافة الاستقصائية خلال مراحل التحول الديمقراطي في مصر، المجلة المصرية

لبحوث الاتصال الجماهيري، م 3، ع 1، 2014، ص: 253.

²⁷ شجاع بن سلطان البقي، الدور الرقابي لوسائل الإعلام الرقمية في مكافحة الفساد، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع 77، ج 2، 2021، ص: 64.

خارجية أو شخصا من خارج العمل الصحفي والإعلامي بل يقوم رؤساء التحرير والقائمون على المؤسسات الإعلامية في بعض البلدان بهذه المهمة من فحص المطبوعات أو الحذف أو التعديل وبما هو مسموح بنشره وما يحضر نشره ويكون هؤلاء مسؤولين مسؤولية كاملة عن ذلك فتصبحون ويصبحون بمثابة رقباء على النشر في إطار السياسة الإعلامية أو السياسة التحريرية للوسيلة أو الصحفية.²⁸

إن جوهر الصحافة الاستقصائية هو ممارسة الوظيفة الرقابية، التي تعتبر من الوظائف التي يجب أن تقوم بها الصحافة الحرة نيابة عن المواطنين، وحراسة المجتمع من شطط استخدام السلطة، أو كل من سولت له نفسه التلاعب سواء بالفرد أو المجتمع ووحدته الترابية، لذلك "يعد الصحفي الاستقصائي قوة إيجابية من أجل التغير، ولم يعد ذلك مجرد مسألة استخدام المهارات الشرعية لإخبارنا بالحقيقة كشكل من أشكال الرقابة وفقط، بل أصبح مسألة افتراض دور الوسطاء الأخلاقيين كحراس غير رسميين للأخلاق العامة والمتسللين للمواقع بهدف مراقبة ورصد ما يحدث داخل الغرف الموصدة".²⁹ ، ومن هنا يمكن اعتبار الوظيفة الرقابية التي تقوم بها الصحافة الاستقصائية امتدادا لمفهوم السلطة الرابعة، انطلاقا ومراقبة كل ما يدور في المجتمع من مدخلات ومخرجات، بما في ذلك مراقبة المؤسسات الاجتماعية والسياسية النافذة في المجتمع، وهنا يوصف دور الصحافة بأنه مثل دور الحارس اليقظ الذي يعمل كحارس ورقيب ضد إساءات استخدام السلطة الرسمية، وكم رقيب لمصالح المجتمع وحمايته من الفساد والانحرافات ، فالصحافة الاستقصائية تعمل كرقيب للسلطة من خلال مراقبة المؤسسات التي تقوم بتسيير المرفق العمومي، إلى جانب القضايا والأحداث والآراء، والعمل على تسليط الضوء على جزء منها، إضافة إلى تقويم مخرجات الممارسة السياسية للحكومة، وترويج مبدأ الحق في المعرفة، وحماية الرأي العام من تسلط النظام السياسي، إضافة إلى تعزيز الديمقراطية باعتبارها إحدى المثل العليا المعترف بها عالميا. وفي هذا السياق يشير الباحث محمد الراحي " بأن الديمقراطية الآنية قد تكون أهم المساهمات التي تقدمها الصحافة الاستقصائية عبر دورها الرقابي بضوابطه المعيارية على أداء المؤسسات والمنظمات والهيئات والفاعلين في مواقعهم المختلفة، ونسق الممارسة الديمقراطية عموما، وهو عموما الدور الذي يكتسب قوته وفاعليته من المعرفة الحفرية العميقة التي ينتجها العمل الاستقصائي من خلال التحقيق والتحري، والبحث بقواعده العلمية والمهنية لاطلاع الرأي العام على الحقائق والمعلومات التي تسعى جهات بعينها إلى التستر عليها وإخفائها".³⁰ ، يبدو أنه من الثابت إذن أن تأثير الصحافة الاستقصائية في عصر اليوم جعل منها سلطة تمارس دورا رقابيا داخل المجتمعات، لذلك يقع على الصحفي دورا مهما في البحث خلف القضايا والمشكلات والأحداث التي من شأنها مكافحة الفساد داخل المجتمعات.

²⁸ بسم المشاقبة ، الرقابة الإعلامية ، " دراسة مقارنة " ، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن- عمان ، ط 1 ، 2014 ، ص: 36

²⁹ J.S. Ettema , and T. L. Glasser, " custodians of conscience: Investigative journalism and public virtue". New York, Columbia university press,(2013),p:34 .

³⁰ محمد الراحي، "أي دور للصحافة الاستقصائية في تعزيز الممارسة الديمقراطية"، مجلة الجزيرة للدراسات، 5 يناير، كانون الثاني، 2017، ص: 12

في السياق ذاته أستعرض بعض النماذج من التحقيقات الصحفية منها على سبيل المثال " التحقيق الاستقصائي الذي قام به الصحفي العراقي (علي خلف) مراسل قناة العربية وكشف فيه عن سرقة شحنة أجهزة كمبيوتر (8000 جهاز) قدمتها القوات الأمريكية هدية إلى مدارس محافظة بابل، وتعرضت للسرقة من مسؤولين حكوميين، وثم كشف القضية بعد ملاحقة الصحفي الشحنة والذي تابع خيط اختفاء الأجهزة حتى توصل إلى مكان توزيعها في أسواق البصرة، وشاركه في ملاحقة القضية كل من شاكر عواد ومنتظر رشيد إلى منطقة الحلة، وبعد أن نشرت العربية التحقيق الخاص بالموضوع، قرر رئيس الحكومة فتح تحقيق فوري أدى إلى استعادة نصفها، أيضا نجد التحقيق الذي قامت به الصحفية العراقية (ميادة داود) بعنوان " تستر اعدام تعسفي ل 11 عراقيا في الأسحاقي) وهي الجريمة التي حاول الجيش الأمريكي التستر عليها لسنوات، وبالتالي هذا العمل جاء بحقائق جديدة تفرض إعادة التحقيق في هذه الجريمة والذي يقود إلى إعادة فتح الجيش الأمريكي للتحقيق في مجزرة الاسحاقي التي وقعت في ربيع عام 2006 ، كما كان أيضا لنفس الصحفية تحقيقات أخرى من قبيل: (تجنيد الأطفال من قبل الجماعات المسلحة) و(الخلل في قوانين المشردين في العراق) وقد نال هذا التحقيق الأخير ثاني أفضل تحقيق استقصائي لعام 2010. " ³¹.

ولعل أبرز مثال للتحقيقات الصحفية في العالم العربي يمكن ذكر التحقيق الصحفي الذي قام به الروائي والصحفي المصري إحسان عبد القدوس في مطلع الخمسينيات والذي عرف بقضية الأسلحة الفاسدة التي تم تزويد الجيش المصري بها في مواجهته مع الكيان الصهيوني في فلسطين عام 1948، وقد أثار هذا التحقيق حفيظة الرأي العام المصري ضد الملك فاروق آنذاك وكان من بين الأسباب التي أدت إلى قيام الثورة ضد الملكية وبروز الجمهورية في مصر سنة 6891 وبداية حكم الزعيم جمال عبد الناصر.

بالإضافة إلى ما ذكرنا، نستحضر هنا التحقيق الذي نشرته شبكة الجزيرة نت للصحفي محمود السبكي بعنوان " الفخ البيلا روسي.. المهاجرون العرب في لعبة الحدود الأوروبية" حاول من خلاله توثيق التدفق الهائل والممنهج لعشرات آلاف المهاجرين العرب إلى بيلاروسيا في الفترة بين أبريل/ نيسان ونوفمبر/ تشرين الثاني 2021، وبين من خلاله دراسة وتتبع حركة الطيران من عدة مدن عربية كيف نظمت السلطات البيلاروسية هذا التدفق. كما يبرز بالشهادات والوثائق كيف دفعت السلطات البيلاروسية هؤلاء المهاجرين إلى حدودها مع بلدن الاتحاد الأوروبي والمآسي الإنسانية التي حصلت جراء ذلك. ويكشف التحقيق أيضا عبر التسجيلات والوثائق تورط شبكات المهربين في هذا التدفق، وتلاعيمهم بأحلام وآمال المهاجرين وطالبي اللجوء لتحصيل أموال طائلة. " ³².

إن العمل الرقابي الذي تقوم به الصحافة الاستقصائية لا ينحصر في الدولة الواحدة فقط، وإنما يتوسع ليشمل مجموع المؤسسات الدولية و منظمات المجتمع المدني، لذلك فإن لا حصانة لهذه المؤسسات أمام الرقابة الاستقصائية لكونها معرضة مثل باقي المؤسسات للمحاسبة والمراقبة ولنا خير دليل في التحقيق الذي قامت به الصحفية الأردنية

³¹ بشري داود السنجرى، " صناعة التحقيقات التلفزيونية الاستقصائية، المقومات الفنية والمهنية للمحقق الصحفي، دار الكتاب الجامعي، الإمارات

العربية المتحدة- الجمهورية اللبنانية، ط 1 ، 2015 ، صص: 163 167 .

³² <https://www.aljazeera.net/news/2022/12/5> آخر تحديث: 08:09 2022/12/5 (توقيت مكة).

(حنان كسواني) عام 2014 حول قضية تزوير تواريخ الصالحية للبسكويت الموجه و المخصص للأطفال في العراق، وعبر هذه النماذج وأخرى منها أمكننا القول أن الصحافة الاستقصائية عبر دورها الرقابي أصبحت اليوم تشكل مظهراً بارزاً من مظاهر البيئة الصحفية العالمية، انطلاقاً وما تقوم به من كشف لأنواع الفساد والانتهاكات ولفت الانتباه إلى أوجه القصور الكامنة في السياسات العامة التي تؤثر في الجمهور، فضلاً عن التحقق من ملائمة القوانين والأنظمة السائدة لحاجات ومصالح المجتمع والأمم، والدفع بالمؤسسات الدولية منها والوطنية إلى خدمة الإنسان تحقيقاً للمصلحة العامة.

ثانياً: نظرية وضع الأجندة (نظرية ترتيب الأولويات):

ترجع الأصول النظرية لبحوث ترتيب الأولويات إلى الباحث " والتر ليبمان " Walter Lippman في كتابه الرأي العام 1922 ، حيث يرى " أن وسائل الإعلام تساعد على بناء الصورة الذهنية لدى الجماهير وفي كثير من الأحيان تصور بيئات زائفة في عقول الجماهير وتعمل على تكوين الرأي العام من خلال تقديم القضايا التي تهم المجتمع وقد تم تجاهل هذه النظرية تماماً في أربعينات وخمسينات القرن العشرين، وبعد ذلك بنحو أربعين سنة أعاد الباحث (كوهين) إحياء وجهة نظر (ليبمان) حين زعم أن وسائل الإعلام لا تنجح في إبلاغ الجماهير كيف يفكرون (الاتجاهات)، ولكنها تنجح في إبلاغهم عما يجب أن يفكروا فيه (المعلومات)."³³، من جهة أخرى تعتبر هذه النظرية من النظريات ذات التأثير المعتدل والتي ظهرت في أواخر الستينيات عندما توصل الباحث (والتر ليبمان) Lippman في دراسته إلى نتائج أثبتت أن لوسائل الإعلام دوراً مهماً في توجيه اهتمامات الجمهور من خلال تحليل مضمون (1000) موضوع نشرته صحيفة (نيويورك تايمز) الأمريكية خلال 36 شهراً للتعرف على الكيفية التي عالجت بها صحيفة رفيعة المستوى الثورة البلشفية، وانتهت الدراسة إلى القول بأن صحيفة الدراسة قدمت صورة زائفة للثورة الشيوعية ، أيضاً أشار (والتر ليبمان) في كتابه "الرأي العام"، عندما ناقش دور وسائل الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية عن العالم الخارجي، حيث أكد فيه أن هذه الوسائل تساعد على بناء الصورة الذهنية عن القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المختلفة لدى الجمهور، وبذلك تعمل على تشكيل الرأي العام حيال القضايا المختلفة لدى الجمهور.³⁴، وعليه؛ تفترض هذه النظرية أن وسائل الإعلام هي التي توجه اهتمام الجمهور نحو قضايا بعينها من خلال التركيز على عدد من بين القضايا المتاحة في المجتمع ، حيث تقترح وسائل الإعلام ما الذي ينبغي أن يفكر فيه الأفراد بوصفهم العمود الفقري للمجتمع وما الذي ينبغي أن يعرفوه ويشعروا به حيال القضايا والأحداث المطروحة، لذلك فإن مفهوم هذه النظرية تشير إلى " أن القائم بالاتصال يحاول أن يرتب اهتمامات الجمهور وفق القضايا التي تتناسب وتوجهاته الفردية أو بما يوافق أيديولوجيا المؤسسة الإعلامية، ويتلخص المعنى الكلي لهذه النظرية في أن وسائل الإعلام هي التي تحدد اهتمامات الجمهور، بمعنى أن هذه الوسائل عندما تهتم

³³ حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1998، صص: 289، 288.

³⁴ أحمد البشير الغول، نظرية ترتيب الأولويات (وضع الأجندة) بين النشأة والتطور "دراسة تطبيقية"، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية، الجزائر، ع 22، 2016، ص: 4.

بموضوع معين أو قضية معينة فإن الجمهور يصبح أكثر اهتماما بهذا الموضوع أو تلك القضية، يعني ذلك أن وسائل الإعلام إذا ركزت في موادها الإعلامية على موضوع الأمن في المجتمع على حساب قضايا أخرى مهمة مثل الإصلاح المالي والإداري، أو الفقر، أو البطالة فإن ذلك يعني أن وسائل الإعلام توجه اهتمام الجمهور إلى القضايا الأمنية وتهمل قضايا مثلها في الأهمية³⁵. ومن هنا يمكن القول أنه إذا كانت التغطية الإعلامية تقدم القضايا والأحداث المتصلة بالرأي العام دون أن تقود المتلقي إلى التفكير فيها انطلاقا ونشر المعلومات وفقط، فإن هذا الأمر بالنسبة للصحافة الاستقصائية غير وارد حيث تقوم هذه الأخيرة بتحفيز الجمهور وحمله على التفكير في مجموع القضايا لكشف ما يتوارى خلف الستار لأنه هو الحقيقة المحجوبة.

وإذا أردنا التأصيل لظهور وظيفة وسائل الإعلام في ترتيب الأولويات (الأجندة)، أو ما يسمى بترتيب جول الأعمال ، فإن الأمر سيقودنا إلى مقال الصحفي والباحث نورتن لونج عام 1958 (Norton Long) "الذي وجد أن الصحافة هي المحرك العامل الأول في وضع أجندة القضايا المحلية، باعتبارها تمارس دورا كبيرا في تحديد ما يتحدث عنه معظم الناس، وتم الحديث عنها بشكل أكثر وضوحا في كتاب (الصحافة والسياسة الخارجية لمؤلفه برنارد كوهن Birnard Cohen)) عام 1963 الذي يعد أفضل تصريح حول هذه الوظيفة، إذ كتب يقول: إن الصحافة قد لا تنجح معظم الوقت في التأثير في اتجاهات الناس ولكنها تؤثر بقوة في تحديد نوعية القضايا التي يهتمون بها.³⁶

وعليه إذا كانت دراسات الأجندة قد بدأت بالسؤال من يضع أجندة الجمهور فإن دراسات بناء الأجندة حاولت الإجابة عن سؤال كيف تتم وضع هذه الأجندة في وسائل الإعلام، وبالتالي الأمر هنا يتطلب التعامل مع المؤثرات الثقافية والاجتماعية والإدارية والمهنية التي تسبق وضع أجندة الوسيلة لتتضح العوامل المؤثرة في بناء أولويات وسائل الإعلام، ويقصد بالأولويات في هذا المقام كما ذكر الباحث كيندون (John W. Kingdon) إلى " تلك القائمة من المواضيع أو المشكلات التي يضع لها المسؤولون بعض الاهتمام الجاد في وقت محدد، مما يؤدي بالناس إلى الارتباط عن قرب بأولئك المسؤولين، كما تعني مجموعة عامة من النقاشات التي تتناول ما يعتبر بمثابة كبوة تقع ضمن مدى المخاوف المشروعة والتي تستحق انتباهها من قبل الحكومة، كما يستخدم هذا المفهوم للدلالة على مجموعة من العناصر الملموسة التي حددت في هيئة قرارات مؤسسية معينة ستتخذ لاعتبارات هامة".³⁷، والجدير بالذكر في هذا المقام أن الأولويات تنقسم إلى عدة أنواع منها العامة والتي تسمى بالنظامية، ثم الأولويات الرسمية أو المؤسسية، وللوقوف جليا على هذه الأنواع نستحضر هنا النموذج التفسيري الذي قدمه الباحثان (روجرز وديرنج) (Everett M. Rogers & James W. Dearing) للعملية التفاعلية فيما بين الأولويات والذي اشتمل على ثلاث أنواع: " أولويات وسائل الإعلام، وأولويات الجمهور، وأولويات السياسة".³⁸

³⁵ محمد بن سعود البشر، نظريات التأثير الإعلامي، العبيكان للنشر، الرياض، ط 1، 2014، ص: 105

³⁶ حيدر محمود محسن الخزرجي، الإعلام المرئي وصناعة الأجندة السياسية " العراق نموذجا"، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2015، ص: 127

³⁷ John W. Kingdon: Agendas, Alternatives, and Public Policies, Boston: Little, Brown and Company, 1984, p : 3

³⁸ Everett M. Rogers & James W. Dearing, Agenda-setting research: Where has is been, where is it going? In James Anderson (Ed.): Communication yearbook 11 Newbury Park, CA: Sage, 1988 p. 555

في ضوء هذه المنطلقات المعرفية، يمكن اعتبار نظرية ترتيب الأولويات خطوة مهمة في نظريات التأثير الخاصة بوسائل الإعلام إلى جانب ما سبقها من نظريات من قبيل: نظرية حارس البوابة ونظرية التدفق عبر مرحلتين، لكن تبقى نظرية ترتيب الأولويات مصدرا بارزا لفهم جوانب تأثير الوسائط الإعلامية في الجماهير على نحو أفضل، كما أخذت هذه الأخيرة على عاتقها العوامل الوسيطة ما جعلها تركز على قدر لا بأس به من النظرة الشاملة، هذه النظرية أيضا تفترض أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقدم جميع الموضوعات والقضايا التي تقع في المجتمع وإنما يختار القائمون على هذه الوسائل الموضوعات التي يتم الترميز عليها بشدة، والتحكم في طبيعتها ومحتواها هذه الموضوعات تثير اهتمامات الرأي العام بشكل تدريجي، وتجعلهم يدركونها ويفكرون فيها. وللمثيل أكثر لهذه النظرية وتطبيقاتها في الصحافة نشير إلى نموذج "تأثير وسائل الإعلام على ترتيب الأولويات لدى الناخبين خلال حملة الرئاسة الأمريكية عام 1968، وأثبتنا عن طريقها قدرة وسائل الإعلام على ترتيب أولويات واهتمامات الرأي العام، كما أكدت الدراسة على أن وسائل الإعلام هي المصدر الأول للمعلومات السياسية، وهي التي تستطيع أن تمد المتلقي بالحقائق والمتغيرات السياسية".³⁹ علاوة على ذلك، يمكن القول أن عملية وضع الأجندة تتدخل فيها عددا من العوامل التي قد تؤثر فيها من قبيل: نوع القضية وأهميتها، والفترة الزمنية، والخصائص الديموغرافية، والاتصال الشخصي، كما يتأثر وضع أجندة وسائل الإعلام بخمسة عناصر، وهي القائم بالاتصال، والممارسة المهنية الروتينية للعاملين بوسائل الإعلام، والتأثير من داخل المؤسسة الإعلامية، وأجندة وسائل الإعلام، إضافة إلى تأثير وسائل الإعلام في بعضها البعض.

ثالثا: نظرية بناء الأجندة:

تعتبر هذه النظرية بمثابة عملية تجميعية يؤثر فيها كل من وسائل الإعلام والحكومة والمواطنين بعضهم في بعض حيث يهتم مدخل بناء الأجندة بدرجة كبيرة على الكيفية التي تصبح بها الموضوعات قضايا وذلك عكس نظرية وضع الأجندة التي تهتم بالعلاقة القائمة بين وسائل الإعلام والجمهور، ويقصد ببناء الأجندة في هذا المقام "تلك العملية التي تبرز فيها وسائل الإعلام قضايا معينة على أنها قضايا مهمة، وتستحق ردود الحكومة والجمهور، من خلال إثارة انتباههم لتلك القضايا، بحيث تصبح ذات أولوية ضمن أجندتهم، وأن الفرد الذي يعتمد على وسيلة إعلامية ما ويتعرض لها سوف يكيف إدراكه وفقا للأهمية المنسوبة لقضايا تلك الوسيلة وموضوعاتها، وبشكل يتوافق واتجاه عرضها، وحجم الاهتمام الممنوح لها في تلك الوسيلة".⁴⁰ لذلك هذه النظرية فتحت المجال أمام بحوث علوم الإعلام والاتصال ليست فقط تلك المتعلقة بالمجال الإخباري وفقط والذي انحصرت فيه هذه الأخيرة لمدة طويلة، وبهذا انتقلت دراسات وضع الأجندة (الأولويات) خاصة مع ظهور هذا الاتجاه الحديث من متغير مستقل إلى متغير تابع حيث ثم استبدال سؤال من يضع أجندة الجمهور؟ إلى سؤال من يضع أجندة الإعلام؟ لذلك نعتبر أن نظرية بناء الأجندة ما هي إلا نظرية موسعة لنظرية وضع الأجندة، والتي تفترض أن الصحافة تمتلك القدرة على تحديد لائحة الأولويات وتنقسم دراسات بناء الأجندة إلى ثلاثة مستويات وهي كالآتي:

³⁹ حيدر محمود محسن الخزرجي، الإعلام المرئي وصناعة الأجندة السياسية "العراق أنموذجا"، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2015، ص:

⁴⁰ منال المزاهرة، نظريات الاتصال، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط 1، 2012، ص: 332،

- المستوى الأول: First Level of building agenda في هذا المستوى تم التركيز على سؤالين محوريين وهما: من يضع أجندة وسائل الإعلام؟ وماهي مصادر أجندة وسائل الإعلام؟ هادين السؤالين تمت الإجابة عنهما انطلاقاً من الدراسة التي قام بها كل Shaw & McCombs سنة (1972)، وأثبتنا عن طريقها قدرة وسائل الإعلام على ترتيب أولويات واهتمامات الرأي العام. لهذا يتخذ المستوى الأول من أولويات اهتمامات الجماهير متغيراً تابعاً لها وهو ما يطلق عليه وضع أجندة الجمهور Agenda Public ومازال هذا الاتجاه البحثي هو المسيطر على معظم دراسات ترتيب الأولويات سواء الأجنبية أو العربية، أيضاً هذه الدراسة جاءت بمفهوم أجندة الصفات Agenda Attribute التي تركز على انتقال ترتيب أولويات العناصر والسمات من التغطية الإعلامية لموضوع ما إلى الجمهور وتأثير ذلك على الاهتمام بالموضوع وترتيبه بين الموضوعات الأخرى فيما عرف بالمستوى الثاني لدراسات الأجندة Second Level of Agenda Setting وهو امتداد للمستوى الأول ويهتم بأولويات العناصر والسمات في التغطية الإعلامية لموضوع ما بالنسبة للجمهور. من جانب آخر نجد دراسة كل من (بالماس، و شيافر) Balmas & Sheafer (2010) تشير إلى أن المستوى الأول من نظرية الأجندة يركز على دور الإعلام في إخبارنا "بما يجب التفكير فيه".⁴¹

- المستوى الثاني: Second Level of building agenda ركزت فيه مجموعة من الدراسات على الكيفية التي تتم بها وضع أجندة وسائل الإعلام، ومن بين هذه الدراسات نجد كل من دراسات (ماكس ماكومبس) وآخرون (McCombs 2014) وكذلك دراسة كل من (لي ولين رايس) (Len- Ríos & Lee ,H 2014) وعليه؛ هذا عن المستوى يختلف عن المستوى الأول من حيث تركيزه على الإطار الذي تتم فيه تغطية وسائل الإعلام للموضوع بين قائمة أولويات الرأي العام. تجذر الإشارة في هذا المقام إلى أن عدداً من الباحثين قد ربطوا بين دراسات وضع الأجندة وبحوث الأولويات Priming التي تفحص تأثيرات وضع الأجندة على الرأي العام وعلى اهتمامات الجمهور للتأكد من مدى بروز قضايا معينة ، ودورها في تشكيل الرأي.⁴²

- المستوى الثالث: الأجندة الإلكترونية Online-agenda setting: إن نتيجة التطورات المتسارعة والمتعاقبة في وسائل الإعلام الجديدة فتحت الباب على مصراعيه لحدوث تغيرات كبيرة في نماذج الاتصال وطبيعة العلاقات الاجتماعية وكذا الأداء التواصلي السياسي، الأمر الذي دفع بمستخدمي وسائل الاتصال الحديثة في نشر الأخبار من خال المدونات والحسابات الخاصة بهم على وسائل التواصل الاجتماعي . ومن هنا اتجهت الدراسات في مجال بناء الأجندة بغية التعرف على مدى تأثير وسائل الإعلام الحديثة المتمثلة في شبكة الإنترنت على بناء أجندة وسائل الإعلام التقليدية من ناحية وبناء أجندة الجمهور من ناحية أخرى وبناء على تلك الدراسات ظهر مصطلح Online -agenda setting . الذي قاد عدد من الباحثين بتطوير مفاهيم تتعلق ببناء الأجندة الإلكترونية لدراسة مدى قدرة الجمهور على التأثير في بناء الأجندة، باعتبار أن الجمهور يشكل أحد القوى الخارجية التي تضم الحكومة والمصادر الإخبارية ذات النفوذ وجماعات المصالح ووسائل الإعلام الأخرى، وتعد مصادر بناء أجندة الوسيلة الإعلامية من العوامل الهامة

⁴¹ محمد حمزة سعد، الاتجاهات الحديثة في دراسة وضع الأجندة في العالم العربي، مجلة الباحث الإعلامي، ع 44، 45، 2021، ص: 46 .

⁴² المرجع نفسه ، ص: 47 .

التي تقف وراء طبيعة الأحداث والقضايا التي تهتم بها وسائل الإعلام . ومن هنا اتجه العديد من الباحثين لدراسة علاقة مصادر الأخبار وعلاقة الوسائل التقليدية بالوسائل الحديثة والتأثير المتبادل بين كل نوع في بناء وترتيب أجندة الآخر، فقد اهتمت هذه الدراسات بالتعرف على كيفية انتقال القضايا من وسيلة لأخرى ، وكيف يعتمد الصحفيون والسياسيون على الوسائل الحديثة ، ودور الوسائل الحديثة في طرح القضايا على الجمهور وافتتاحها الفرصة له للنقاش حولها وإبداء رأيه فيها".⁴³

في السياق ذاته نشير إلى أن نظرية بناء الأجندة في الصحافة الاستقصائية يتمثل في تركيز الصحف على قضية معينة وإظهارها بأنها أبرز من غيرها عبر تغطيات إعلامية وصحفية متنوعة، تم العمل على تبئير القضية وجعلها بؤرة اهتمام الرأي العام، وبالتالي فدور الصحفي الاستقصائي يكمن عبر دفع أو إزاحة عدد كبير من الأولويات، والبحث عن الغرض من تبئير هذه القضايا على حساب قضايا أخرى لا يود إذاعتها، مثل حجب قضية بقضية أخرى فيحصل الوهم والخداع، أو ينساق وراء التضليل الإعلامي المقصود، ويبقى القول في نهاية هذه النظرية بأن تشكل قيم المجتمع وعاداته وتقاليده أحد أهم العوامل المؤثرة في بناء أجندة وسائل الإعلام، ولكي نمثل أكثر لنظرية بناء الأجندة في الصحافة الاستقصائية نستحضر هنا التحقيق الصحفي الذي قام به الصحفي المغربي ياسر المختوم بعنوان " الإسمنت يبتلع غابات المغرب بعد إحراقها" حيث كشف من خلاله الجهات المستفيدة من انحسار الغطاء الغابوي جراء الحرائق في المغرب، ومساءلة الحكومة عن إدارة برامج الوقاية من الحرائق، وبالتالي كان هذا النموذج خير مثال تقوم به الصحافة الاستقصائية تجاه الرأي العام وذلك عبر زيادة وعيه ومعرفته بالقضايا المحيطة به، ووضع تصورات عن الحلول والمشاكل التي تواجهه، وهذا لا يعني أن ما تقوم به الصحافة هو استمالة الأفراد لتغيير رأيهم وتبني وجهة نظر جديدة، بقدر ما هي رسالة إقناعية لتفضيل بعض الموضوعات عن غيرها،

رابعاً: نظرية المسؤولية الاجتماعية.

تعتبر الصحافة حلقة وصل بين المجتمع والحكومة حيث إنها صوت الشعب للحكومة وفي الوقت نفسه هي صوت الحكومة للشعب فهي تغطي كافة الجوانب الاجتماعية، وتشمل كل فرد من أفراد المجتمع من رئيس دولة إلى أن تصل إلى أصغر فرد في تلك الدولة فجميعهم في دائرة واحدة تسمى المجتمع، ومن ظهر لنا ما يسمى بنظرية المسؤولية الاجتماعية وبالتحديد مع " نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، تحديدا بعد الحرب العالمية الثانية بالولايات الأمريكية وغرب أوروبا نتيجة مجموعة من العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية هذه العوامل كانت حاملا لظهور فلسفة المسؤولية الاجتماعية للصحافة، واعتبر القرن العشرين الميدان التطبيقي لأفكار هذه النظرية، من أهم روادها" ادوارد جيرالد Gerald ، تيودور بترسون ، Peterson وليام ريف River جون ميرل mirrel ، وغيرهم ..وصولاً إلى المنظرين المحدثين ، ديني اليوت، Elliot، كليفورد كريستيانس Cristians وغيرهما من الرواد.⁴⁴

⁴³ محمد حمزة سعد، الاتجاهات الحديثة في دراسة وضع الأجندة في العالم العربي، مجلة الباحث الإعلامي، ع 44، 45، 2021، ص: 48 .

⁴⁴ محمد حسام الدين، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، 2003، ص: 18

إن الصحافة الاستقصائية وفق هذه النظرية مطالبة بأن تؤدي دورها بشكل سليم والمتمثل في المراقبة، والنقد، وتقديم النتائج وتحليلها، واقتراح بدائل للإصلاح والمعالجة وتحديد المتدخلين، والأدوات الإجرائية، وبما أن الصحافة الاستقصائية تخص المجتمع بشكل عام من صغيره وكبيره فمن الواجب دعم هذا النوع من الصحافة والذي يعد مكماً للمجتمع ووسيلة تغذية فكرية هامة للعقول البشرية من خلال إرشادهم بأهم القضايا في حياتهم اليومية والمشكلات التي تواجه البعض لإيجاد أفضل أنواع الطرق لحل تلك المشاكل، أيضاً هذه النظرية فرضت واقعا معاصرا لمفهوم حرية الصحافة الذي يتسم بالمرونة، بعد أن أثبتت الممارسات أن الحرية الغير مقترنة بالمسؤولية تؤدي إلى الفوضى في، المجتمعات فلا ينبغي لحرية الصحافة أن تطغى على حريات الآخرين وقيم المجتمع.

في السياق ذاته نجد الباحث (محمد بن سعود البشر) يشير إلى أن "نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام أتت، لتعمل على تعزيز مفهوم الحرية في وسائل الإعلام، حيث حملت معها فكرة الحرية المسؤولية وليس الحرية المطلقة، ولذلك فإنّ مبادئ نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام حاولت أن تحرر الصحافة بدايةً ثم تقوم بتحرير وسائل الإعلام بشكل كامل، من المتسلطين من بعض فئات المجتمع عليها، وأن تعمل على الموضوعية في الرسالة الإعلامية، وأيضاً أن تحافظ على القيم في المجتمع وتعمل على نقل هذه القيم من جيل لآخر، مع أن تبقى هذه الوسائل الإعلامية بعيدة عن سلطة الحكومة".⁴⁵ ومهما يكن فإن الصحافة كما يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه (مستقبل الصحافة في مصر): "إن الصحافة قادرة على صنع الأعاجيب، ففي يدها سلاح رهيب لا يُعقل لاسيما إذا كانت تعيش في ظل نظام ديمقراطي وتتمتع بالحرية، ولها ظهر لا ينثني ورأس لا ينحني، وطاقة جبارة على الدأب في سبيل تحقيق الغاية التي رسمتها لنفسها، وقضاؤها في الأفراد والهيئات والشعوب والحكومات هو قضاء يوشك ألا يرد، ومن أجل ذلك أطلق عليها لقب (السلطة الرابعة)، غير أن هذا اللقب قد يكون صحيحاً بالنسبة إلى السياسة وشؤون الحكم، ولكنه يغدو مقصراً بالنسبة إلى شؤون أهم من السياسة وأخلد من الحكم: منها اللغة، والأدب والأخلاق، والعادات والتقاليد، وتقويم المجتمعات واستئصال الفساد، وأخيراً توجيه الشعوب وقيادة نضالهم، ومقاومة الشرور والظلم والاستعمار، وبعث الإصلاح في شتى مرافق الحياة"⁴⁶.

تأسيساً على هذه المنطلقات السابقة نشير إلى أن نظرية المسؤولية الاجتماعية في الإعلام تقوم وتتأسس على مجموعة من المبادئ وذلك من قبيل أنه: ليس للحكومة سلطان على الصحف ووسائل الإعلام بشكل عام، وتحديدًا تلك التي يملكها أفراد أو مؤسسات أهلية أو خاصة؛ لأنها تقوم بالتعبير عن وجهات متعددة ومتنوعة، فلا رقابة عليها من الحكومة، وبقيدتها الضمير الإعلامي والسياسة التي ترسمها المؤسسة لتحكم به عملها، كما أن الجمهور له الحرية في

⁴⁵ محمد بن سعود البشر، نظريات التأثير الإعلامي، العبيكان للنشر، الرياض، ط1، 2014، ص: 27.

⁴⁶ حمزة عبد اللطيف، مستقبل الصحافة في مصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة، ط1، 2003، ص: 45.

اختيار الوسيلة أو الرسالة الإعلامية التي تلي رغبته وتناسب ميوله، وكذا التعبير عن آرائه حتى وإن خالفت رأي السلطات العليا، ثم التزام وسائل الإعلام بتزويد الجمهور بالمعلومات بشرط أن تلتزم بصحة هذه المعلومات وصدقها، وأن تمثل وجهات النظر المختلفة بعدالة، والعمل على إعطاء الجمهور الفرصة الكاملة للاطلاع على المعلومات اللازمة كافة، ثم نشر قيم المجتمع وأهدافه وتوضيحها، باعتبار أن الإعلام أداة تعليمية فهي تعد وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية، مع الطرح بموضوعية لا يشوبها التزييف.⁴⁷

حاصل الكلام أن الممارسة الصحفية الاستقصائية وفقك هذه النظرية هي في الأصل عبارة عن مدخلات ومخرجات، وهذه الأخيرة تتعلق بالرسالة والتي يقابلها متلقي، فيجب ألا تتعارض هذه المحتويات مع قيم ومبادئ وهوية المجتمع، ولا يمكن القبول بمادة استقصائية هابطة تنزل بالذوق العام وتثير الحساسيات لدى أفراد المجتمع أو تخدش الحياء، مما يؤدي إلى انزلاقات أخلاقية تحت ذريعة الحرية أو التحجج أن جمهور وسائل الإعلام واعي ويمكنه أن يميز بين المحتوى الإعلامي، أو القول بأن هذا ما يريده الجمهور، فوسائل الإعلام من المفروض أنها تعمل إلى جانب مؤسسات اجتماعية أخرى كالأسرة والمدرسة والمسجد من أجل الحفاظ على المجتمع وهذا في إطار المسؤولية الاجتماعية.

خامسا: نظرية الملكية

لقد شهدت المؤسسات الإعلامية والصحفية تغيرات مستمرة في أنماط ملكيتها وفي هياكلها الإدارية والتمويلية، وتقنيات إنتاجها وقد أفرزت هذه التغيرات تعديلات جوهرية في سياسات غرف الأخبار وفي مفاهيم المسؤولية المهنية اتجاه المتلقي والمجتمع، وعليه؛ " تعد الملكية أحد أعمدة النظام الإعلامي، بل إنها تمثل بصورة أساسية شكل النظام وطبيعته و تعدد أشكال ملكية الصحافة و تختلف بحسب اختلاف النظام الإعلامي الذي تنتمي إليه، ومنه فإن ملكية الصحيفة تعبر عن حرية الصحافة و كلاهما تعبر عن نظرية الإعلام السائدة في مجتمع من المجتمعات، و انعكاس للنظام السياسي بأركانه المختلفة الاقتصادية، والثقافية والاجتماعية و غير ذلك.⁴⁸

الجدير بالذكر في هذا المقام أن الملكية الصحفية يقصد بها " الجهة التي تتحكم في إصدار صحيفة و إنتاجها و إصدارها و نشرها و توزيعها و تكون مسؤولة عن مواردها و المتحكم الأول في شكلها و مضمونها، و تصبح بذلك الصحيفة ملكا لها و عائدة إليها، سواء كانت هذه الجهة تتمثل في أشخاص معنوية أو اعتبارية، جماعية أو فردية . ويقصد بالملكية الصحفية وأنماطها الجهة التي تتحكم في إصدار صحيفة، إنتاجها، تحريرها، ونشرها وتوزيعها بحيث تكون مسؤولة عن موارده وإخراجها للتداول بحيث تؤول ملكيتها لها سواء كانت هذه الجهة أشخاصا طبيعية أو اعتبارية، عامة أو خاصة؛ ويرتبط هذا بأساليب إصدار الصحف الذي يدعمها النظام الإعلامي والذي يعكسه النظام

⁴⁷ محمد بن سعود البشر، نظريات التأثير الإعلامي، العبيكان للنشر، الرياض، ط1، 2014، ص: 28 .

⁴⁸ إبراهيم عبد الله المسلمي، إدارة المؤسسات الصحفية، العربي للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 1995، ص: 111 .

السياسي القائم⁴⁹ ومن هنا يمكن أن نقول هناك نوعان من أنظمة الملكية في المؤسسات الصحفية والإعلامية (ملكية عامة) أي ملكية الدولة ، وملكية خاصة وتعني ملكية القطاع الخاص والأحزاب والنقابات وتتحدد نوعية الملكية تبعاً لفلسفة النظام السياسي السائد في البلد. فمثلاً الإعلام التقليدي بأشكاله المختلفة مملوكة لإحدى سلطتين: " إما السلطة السياسية المتمثلة لحكومة، أو السلطة الاقتصادية المتمثلة بصحاب رؤوس الأموال والمستثمرين في قطاع الإعلام، لذا فالأفراد ممن لا يملكون إحدى هاتين القوتين لا يمكنهم التملك في قطاع الإعلام، وبالتالي فإن فاعليتهم وحضورهم في العملية الاتصالية يبقى في إطار الاتصال الوجيه الفردي، دونما أن يكون لهم حيز في الإعلام الجماهيري . كما أن ملكية وسائل الإعلام التقليدية تحتاج إلى الحصول على تراخيص من الحكومات للتمكن من إنشاء تلفزيونات وصحف وإذاعات وحتى مكاتب صحفية، وبذلك فإن تملك وسائل الإعلام التقليدية ليس بالأمر الهين، حيث إن امتلاك المال يحتاج للأذن من السلطة السياسية للسماح بالعمل الإعلامي، وبذلك تتعقد عملية تملك وسائل الإعلام وتخضع لاعتبارات كثيرة، حيث تستغل في كثير من الأحيان لتكميم أفواه المعارضين وعدم السماح لهم بإنشاء وسائل إعلامية خارج إطار السلطة أو الحزب الحاكم خاصة في الدول التي ليس فيها حظ في الديمقراطية وحرية التعبير⁵⁰.

في السياق ذاته يشير الباحث محمد فريد عزت إلى جوانب تأثير مالك الصحيفة في إدارتها؛ إذ يقول أن هذا الأخير هو من " يحدد سياستها التحريرية، ويقوم بالإشراف على تعيين المسؤولين عن هيئة التحرير ويحدد الميزانية. لذلك تصبح نوايا المالك الحقيقية سواء أكانت الدولة أو فرداً هي التحكم في سياسة تحرير الصحيفة بغض النظر عن كل ما يقال بخلاف ذلك. وعليه تكتسب دوافع المالك وراء امتلاك المؤسسة الإعلامية أهمية قصوى⁵¹، فإذا كانت ملكية عمومية (المؤسسات الإعلامية) فأكيد ستوظفها الدولة لخدمة مصالحها العامة، أما إذا كانت خاصة فتحكمها اعتبارات كثيرة أهمها رؤوس الأموال، ونسبة الأرباح، وخدمة المصالح الخاصة، ووفقاً للنظرية الليبرالية، ينبغي أن تكون للصحافة قاعدة كبيرة من الحرية، كي تساعد الناس في بحثهم عن الحقيقة، ولكي يصل الإنسان إلى الحقيقة عن طريق العقل، ينبغي أن تتاح له حرية الوصول إلى المعلومات والأفكار، وهو يستطيع أن يميز فيما تقدمه الصحافة بين الحقيقي والزائف، باستخدام عقله، فهو قد يجد بعض الصدق مخفياً وراء الكذب، كما يجد بعض الزيف مخفياً وراء الحقيقة، ولكن على المدى الطويل، تظهر الحقيقة من خلال التفاعل الحر بين المعلومات والأفكار، ومن جانب آخر نجد أن النظرية الليبرالية تربط بين استقلال الصحافة وتحقيق الربح، حيث يقول (جورج سوكولسكي) ، أن معركة التوزيع تصبح معركة من أجل التحقيق، ذلك أن بعض الصحف وبعض الصحفيين يمكن أن يخدموا أهدافاً وضعية، ولكن في النظام التنافسي تنتصر الحقيقة في النهاية، فما يسعى البعض لحذفه يسعى آخرون لنشره، والخطأ الذي

⁴⁹ وفاء بورحلي، أنماط الملكية الصحفية في الأنظمة الإعلامية العربية وعلاقتها بالتعددية الإعلامية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية/الجزائر، م 12، ع 3، 2020، ص: 90

⁵⁰ عبد الله محمودي عدوي، التحولات في تشكيل الرأي العام في ضوء ملكية وسائل الاتصال الرقمية، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، الجزائر، م 9، ع 2، ص: 69.

⁵¹ محمد فريد عزت، إدارة المؤسسات الإعلامية دار العربي للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، 1994، ص: 78.

يرتكبه صحفي يصححه صحفي آخر، والأكذوبة التي يسوقها محرر يصوبها محرر آخر، ومحاولة خدمة قضية خاصة تكشفها صحيفة أو وكالة أنباء منافسة.⁵²

وفي جانب آخر، نشير إلى أن "حتى في الدول المتقدمة التي تتمتع بمناخ إعلامي يتميز بالحرية والتعددية، تستحوذ الملكية على نفوذ بالغ على قرارات التحرير. فعلى سبيل المثال، هنالك أباطرة مالكون للإعلام على المستوى الدولي لديهم مقدرة هائلة على التأثير في أجندة الأخبار، مثل الملياردير الأسترالي الأميركي (روبرت مردوخ) الذي يعدّ قطباً من أقطاب التجارة والإعلام الدولي، وهو مؤسس ورئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي للشركة القابضة للإعلام الدولي " نيوز كوربوريشن" News Corporation التي تعدّ ثاني أكبر تكتل، لوسائل الإعلام في العالم. ويسيطر مردوخ على ثلثي سوق الصحف في أستراليا، فضلًا عن ثلث السوق في بريطانيا من خلال ملكية ثلاث من أكبر الصحف اليومية البريطانية، واثنين من أكثر صحف طبعة الأحد الأسبوعية توزيعاً".⁵³ وفي السياق نفسه، تشير الباحثة ندى أمين في موضع آخر من مقالها إلى دراسة قام بها كل من أندريا برات وديفيد سترومبرغ والتي توصلت إلى نتيجة مقارنة، حيث ناقشت الصلة بين أنماط ملكية وسائط الإعلام وتعددتها مقارنة بنتائج السياسات العامة للدولة. وخلصت إلى أن البلدان التي بها ملكية حكومية أكبر لوسائل الإعلام لديها صحافة حرة أقل، وانخفاض في الحقوق السياسية للمواطنين، وحكومة رديئة، وأسواق رأس المال الأقل نموًا، ونتائج صحية وتعليمية منخفضة كما أن منظمة الشفافية الدولية قد ذكرت أيضًا أنه حينما تكون أغلب وسائل الإعلام مملوكة للدولة، يمكن أن تمارس الحكومة نفوذًا قويًا

وتراقب المحتوى، وتمنع التحقيقات في القضايا البارزة وحالات الفساد الحكومي، وتهدد عمومًا حيادية التغطية الإعلامية. لذلك يمكن القول إن البلدان التي فيها ملكية حكومية أكبر لوسائل الإعلام لديها ضعف في المؤسسات العامة ووسائل المساءلة الحكومية والمحاسبة ومحاربة الفساد.⁵⁴

عموماً يمكننا القول أن مسألة ملكية المؤسسات الصحفية يجب أن تكون تعبيراً عن حرية الصحافة والإعلام وكلاهما تعبير عن الواقع الإعلامي السائد في مجتمع من المجتمعات وانعكاس للنظام السياسي بأركانه المختلفة وبين ملكية الوسيلة الإعلامية، وبعبارة أخرى فالإعلام في كل دولة ومجتمع هو "محصلة رؤية كل من المجتمع والحكومة التي تمثل السلطة للنظام الاعلامي، وأما الوسائل الاعلامية الجماهيرية فهي ما تمخض عنه المجتمع من معتقدات اجتماعية وفلسفية واقتصادية وسياسية وقام الاعلام بدوره بتبنيها بعد ترسخها لدى المجتمع، وربما أسهم في ترسيخ بعضها أو كلها، والاعلام كما غيره يتأثر بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقيم السائدة في المجتمع والتاريخ، وربما كان من الممكن الاستغناء عن الاعلام ووسائل الاتصال فيما مضى، أما الآن فقد بات هذا ضرباً من المستحيل إن لم يكن مستحيلاً، في ظل النمو المجتمعي الكبير والانفجار السكاني العالمي، ما أدى إلى تفرد الإعلام".⁵⁵ كما أن الممارسة الصحفية الاستقصائية وفق هذه النظرية يجب أن تتشعب بالقيم المهنية وأخلاقيات الممارسة الصحفية، وذلك بغرض

⁵² إبراهيم عبد الله المسلمي، إدارة المؤسسات الصحفية، العربي للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1، 1995، ص: 115، 116.

⁵³ ندى أمين، ملكية وسائل الإعلام وتأثيرها في استقلالية المحتوى الصحفي: السودان نموذجاً، مجلة سياسات عربية، ع 33، تموز/ يوليو، 2018، ص: 100.

⁵⁴ المرجع نفسه، ص: 98.

⁵⁵ عبد العزيز شرف، الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، (2004)، ص: 33.

إصدار تقارير استقصائية موضوعية، وممنهجة، وموثقة المصادر، تستهدف معلومات سرية تخص المصلحة العامة، وهذه المهمة يجب أن تتصف بالصدق والشمولية وكل ذلك في إطار الالتزام بالقيم المهنية للصحافة، ولا جدال أن الصحافة تعكس صورة تنم عن تنوع المجتمع وتقدم تفصيلات عما يجري على الأرض المحلية الضيقة وتتوسع منها إلى أن تشمل العالم، ولذلك تكون مسؤوليتها مضاعفة في نقل الأخبار بمنتهى الصدق والشفافية والحيادية وبذل المجهود اللازم لاستقصاء الحقائق وعدم التسبب في الضرر أو الاساءة للأفراد أو الجماعات أو المجتمع ككل.

خلاصة:

تزعم فرضية هذه الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية وثيقة بين عملية الكتابة للصحافة الاستقصائية ومداخلها النظرية المفسرة، لذلك تسعى لإيجاد إجابات عن الأسئلة التي وردت في هذا الخصوص لتأكيد هذا الزعم أو نفيه. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن الكتابة للصحافة الاستقصائية هي نوع خاص من الكتابة يعتمد على البحث المتعمق والتحقيق الشامل لكشف الحقائق وراء الأحداث والقضايا التي قد تكون غامضة أو محجوبة، كما يتميز هذا النوع من الكتابة بقدرته على تسليط الضوء على موضوعات هامة لم يتم تغطيتها بشكل كافٍ في وسائل الإعلام التقليدية، وذلك بغية توفير رؤية أعمق للقضايا التي تؤثر على المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر، كما أن هذه العملية تتطلب من الصحفي الاستقصائي أن يكون باحثًا أكثر منه مجرد ناقل للأخبار؛ فهو يتعامل مع نوعية خاصة من المعطيات والمعلومات الأمر الذي يتطلب منه التعامل بحذر مع طبيعة الأدلة والشهادات التي يحصل عليها من مصادر متعددة، مرورًا بتحليل البيانات وصولًا إلى نتيجة موضوعية وغير منحازة. وقد خلصت الدراسة أيضًا أن الكتابة للصحافة الاستقصائية تتطلب وقتًا وجهدًا أكبر لإجراء تقارير مفصلة وشاملة، وتميل إلى المعالجة التفسيرية المتعمقة عبر كشف أوجه الفساد والانحرافات في المجتمع ومواجهتها، سواء كان ذلك من خلال منهج خاص أو من خلال أساليب كتابية عملية محددة يختبر الصحفي من خلالها قدرته على التحقيق الموضوعي والتنظيم الدقيق للأدلة، وكذا القدرة على معالجة القضايا المعقدة بطريقة يفهمها الجمهور، مما يعزز الثقة بين الصحافة والجمهور ويدفع إلى التغيير الاجتماعي والسياسي.

لذلك، فإن الخاتمة الرئيسة التي يمكن استخلاصها تتمثل في أن الممارسة الصحفية الاستقصائية تعد من أبرز وأهم أوجه مظاهر العمل الإعلامي الاحترافي، وأوجه من أوجه تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على البناء الاجتماعي وتوازنه، لذلك فإن تحقيق هذه الغاية السامية والنبيلة لا بد من توفير أرضية علمية حقيقية لنشاطها، وعلى رأسها مناخ ديمقراطي حقيقي يتمتع بهامش فعلي من حرية الفكر والتعبير، وتطوير التفكير الصحفي والممارسة الإعلامية الاستقصائية في التعامل مع مشاكل المجتمع، كما أن المؤسسات الصحفية مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى التركيز على العمل الصحفي الاستقصائي، بمعنى التوجه نحو صحافة التحري أو التقصي وذلك لكون هذه الأخيرة تعمل على كشف الحقائق الدفينة وكشف التجاوزات والأخطاء، والعمل على مراقبة أداء المؤسسات الحكومية والمنظمات والشركات بغرض الكشف عن التجاوزات والممارسات الخاطئة وتفعيل مبدأ المساءلة والمحاسبة بما يساعد على تحسين الأوضاع وتصويبها، انطلاقًا والتركيز فيها على أدق التفاصيل، ومعاينتها من أكثر من زاوية وتحليلها بشكل موضوعي حتى يتم الكشف عن مواضع الخلل. وبالتالي فالكتابة للصحافة الاستقصائية، ليست عملاً مستقلاً عن

الممارسة الصحفية العادية، بل هي مكمل لها، لكن ممارسة الصحافة الاستقصائية تتطلب جهدا مضاعفا وجرأة في التقصي عن الحقائق باحترافية ومهنية، وهذه الصفة تتطلب شخصية صحفية تتحرك بضمير مهني وأخلاقي يكون بمثابة حصنا منيعا أثناء النبش عن الحقائق والقضايا الحساسة في المجتمع داخليا وخارجيا.

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ عيسى عبد الباقي، الصحافة الاستقصائية، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- ✓ محمد الزوهري، الممارسة الإعلامية، الواجب المهني والأداء الفني، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية، ط1، 2019.
- ✓ عزام أبو الحمام، المنهج العلمي في الصحافة الاستقصائية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2014.
- ✓ بشرى حسين الحمداني، التغطية الصحفية الاستقصائية (تحقيقات عابرة للحدود) دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2012.
- ✓ عبد الملك بن عبد العزيز بن شهلوب، التحقيق الصحفي، أسسه-أساليبه- اتجاهاته الحديثة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 2004.
- ✓ عيسى عبد الباقي موسى، الصحافة الاستقصائية وصناعة القرار السياسي - دراسة في المدخل الرقابي لوسائل الإعلام، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.
- ✓ عبد الرحمان سامح حسنين، الوظيفة الرقابية للصحافة الاستقصائية خلال مراحل التحول الديمقراطي في مصر، المجلة المصرية لبحوث الاتصال الجماهيري، م3، ع1، 2014.
- ✓ شجاع بن سلطان البقي، الدور الرقابي لوسائل الإعلام الرقمية في مكافحة الفساد، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، ع77، ج2، 2021.
- ✓ بسام المشاقبة، الرقابة الإعلامية، "دراسة مقارنة"، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط1، 2014.
- ✓ أحمد البشير الغول، نظرية ترتيب الأولويات (وضع الأجندة) بين النشأة والتطور "دراسة تطبيقية"، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية، الجزائر، ع22، 2016.
- ✓ حمد بن سعود البشر، نظريات التأثير الإعلامي، العبيكان للنشر، الرياض، ط1، 2014.
- ✓ محمد حمزة سعد، الاتجاهات الحديثة في دراسة وضع الأجندة في العالم العربي، مجلة الباحث الإعلامي، ع44، 45، 2021.
- ✓ محمد حمزة سعد، الاتجاهات الحديثة في دراسة وضع الأجندة في العالم العربي، مجلة الباحث الإعلامي، ع44، 45، 2021.
- ✓ محمد حسام الدين، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2003.
- ✓ حمزة عبد اللطيف، مستقبل الصحافة في مصر، الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة، ط1، 2003.
- ✓ إبراهيم عبد الله المسلي، إدارة المؤسسات الصحفية، العربي للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 1995.
- ✓ وفاء بورحلي، أنماط الملكية الصحفية في الأنظمة الإعلامية العربية وعلاقتها بالتعددية الإعلامية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية/الجزائر، م12، ع3، 2020.
- ✓ عبد الله محمودي عدوي، التحولات في تشكيل الرأي العام في ضوء ملكية وسائل الاتصال الرقمية، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، الجزائر، م9، ع2.
- ✓ عبد العزيز شرف، الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004.

- Marchetti Dominique, (2000), Les révélations du "journalisme d'investigation". In: Actes de la recherche en sciences sociales, Vol. 131-132, mars, Le journalisme et l'économie, pp 30-40. ✓
- J.S. Ettema , and T. L. Glasser, " custodians of conscience: Investigative journalism and public virtue". ✓
34 .:p)2013(New York, Columbia university press,